الفصل الثامن

التفاعل بين جماعات الصفوة فى بعض المواقف التاريخية

مقدمة :

يستهدف هذا الفصل الكشف عن مواقف الصفوة فى الريف ـ سواء اكانت صفوة قديمة أم جديدة ـ من بعض المسائل التاريخية الهامة التى فرضت على الناس أن يتخذوا بشأنها موقفا ، اما بالمناصرة أو بالمعارضة وقد وقع الاختيار على ثلاثة مواقف اساسية : (١) الثورة العرابية ، (٢) ثورة ١٩١٩ ، (٣) الاصلاح الزراعى • والملاحظ هنا أن هذه المسائل كلها مسائل قومية وليس لها صفة محلية • غير أن ذلك لا يقلل من اهميتها فى تحليل علاقات التفاعل على مستوى محلى • فقد كان لها من الأهمية والانتشار ما جعلها تصل الى أعماق الريف ، وبصفة خاصة ثورة عرابى وثورة ١٩١٩ • غير أن أهمية تحليل مواقف الصفوة من هذه الاحداث تكمن فى بعض العوامل التاريخية المختلفة خاصة فترتى تطور الرأسمالية وسيطرتها • ومن ناحية أخرى فانها تكشف عن الدور الطليعى للصفوة الجديدة فى محاولة تغيير الاوضاع القائمة حتى وان كان هذا الدور قد انتهى فى بعض الأحيان الى الفشل • وفضلا عن ذلك فان تحليل المواقف المرتبطة بهذه المسائل سوف يكشف عن مستوى التحول فى موقف الصفوة، وعلى سبيل المثال العناصر التى أيدت ثورة عرابى عام ١٨٨٢ هى نفس العناصر التى عارضت ثورة ١٩١٩ ومسألة الاصلاح الزراعى فيما قبل ١٩٥٢ حيث كانت قد حققت أسس استقرارها الطبقى • ومن شأن المقارنة بين المواقف المختلفة على هذا النحو أن تساهم فى اختبار بعض الفروض الخاصة بالتحول فى موقف الصفوة ، خاصة الفرض الذى يذهب الى أن

جماعة الصفوة تميل الى تغيير موقفها مع تغير أوضاعها الطبقية واكتسابه أسس استقرارها • كما أن تحليل مواقف الصفوة من هذه المسائل قد يكشف لنا عن تنويعات داخلية فى مواقف الصفوة القديمة والجديدة الأمر الذى يكشف بدوره عن الصراع الكامن داخل كل صفوة على حدة •

وقد يثور هنا سؤال عن المسائل السابقة على ثورة عرابى ، ومواقف الصفوة منها • والواقع أنه كان بالامكان اخذ بعض المسائل من الفترة السابقة على ثورة عرابى • غير أن طبيعة هذه المسائل ، وطبيعة تكوين الصفوة نفسها تجعلان تحليل المواقف عديم الجدوى • فمن حيث المسائل فانها كانت ترتبط بالمظالم الواقعة على الفلاحين كالسخرة والضرائب والتجنيد • وتحليل المواقف المرتبطة بهذه المسائل لا يكشف عن التفاعل بين جماعات الصفوة بقدر ما يكشف عن ردود فعل فقراء الفلاحين ـ وهى ردود فردية ومتناثرة كشفنا عن بعضها فى الفصل السابق ـ تجاه قرارات الحكومة أو تعنت الصفوة المحلية • ومن ناحية الصفوة نفسها فقد كشف الفصل الخاص بتركيب الصفوة عن أن فترة حكم محمد على لم تشهد تكوين صفوة جديدة بعد أن قضى محمد على على نفوذ طليعة هذه الصفوة المتمثلة فى جماعة علماء الازهر بزعامة السيد عمر مكرم • كما أن الصفوة الجديدة التى قادت الثورة العرابية ، والتى تكونت من العناصر المصرية التى أفسحت لها سياسات محمد على وخلفائه مجالا لتحقيق النفوذ والثروة ، والتى واجهت الصفوة القديمة الأجنبية فى الثورة العرابية ، هذه الصفوة كانت فى دور التكوين طوال هذه المرحلة • ولقد ارتبطت عملية تكوينها بتحول واسع النطاق فى أوضاعها الاقتصادية الأمر الذى أخرجها من دائرة الصفوة الجديدة بمجرد حدوث ثورة عرابى • وقد انعكس كل هذا على ردود فعل الفلاحين تجاه هذه المسائل بحيث التزموا بكل المتطلبات التى تفرضها ، ولم تتشكل أى معارضة منظمة لها • وجاءت المعارضة فى شكل حوادث فردية متناثرة على ما ذكرت قبل قليل • وقد أورد على

بركات جانبا من هذه الحوادث والتى أخذت شكل المقاومة السلبية كالهروب من الأرض وبعض الحوادث التى كان الفلاحون يتلفون فيها المحاصيل أو يحرقونها (١) • وتحدث على بركات عما أسماه بانتفاضات الفلاحين (٢) ، غير أن بعض هذه الانتفاضات قد ارتبطت على ما يبدو بمحاولة تحقيق نفوذ سياسى أو اقليمى ، وبعضها الآخر لم يكن الا مجرد حادثة تحدث فى قرية كان يمتنع أهلها عن زراعة محصول القطن أو عن العمل بأجر قليل •• وهكذا •

وبدون اصدار حكم مسبق على هذه الأحداث فانها لم تكشف عن مواجهة قومية كان لها ردود فعلها الاقليمية ، ولم تؤثر على تحول صفوة من موقع الى موقع آخر • ولم تحدث أى شكل من أشكال الانقسامات داخل فئات الصفوة ، وهى الأمور التى يود هذا الفصل أن يلقى مزيدا من الضوء عليها من خلال العناصر التالية :

أولا : الثورة العرابية ومواقف الصفوة •

ثانيا : ثورة ١٩١٩ ومواقف الصفوة •

ثالثا : الاصلاح الزراعى ومواقف الصفوة •

أولا : الثورة العرابية ومواقف الصفوة

تبدو الثورات فى تاريخ مصر الحديثة وكأنها ثورات بالنيابة • ويحدث ذلك على النحو التالى : تخرج طائفة من أبناء الفلاحين أو الطبقة الوسطى فى المدن وتنخرط فى صفوف الجيش أو فى صفوف المثقفين ثم تثور نيابة عن جماعات الفلاحين أو سكان الحضر التى أفرزتهم أو دفاعا عن مصالحهم أو كليهما معا • وبعد ذلك تهب جماهير الشعب التى ترى فى ذلك مصلحة لها الى تأييد الثورة • وتهب الطبقات التى ترى فى ذلك

---

(١) على بركات ، **مرجع سابق** ، ص ص ٣٨٥ ـ ٣٨٩ •

(٢) **المرجع السابق** ، ص ص ٣٩٠ ـ ٤٠١ •

تهايدا لمصالحها لمعارضة ما يحدث • وهذا هو ما حدث فى ثورة عرابى • فاصحاب الثورة هم أبناء الفلاحين الذين هيأت لهم النظم التعليمية والادارية التى ادخلها محمد على فرصة للانضمام للجيش أو الادارة أو الازهر ، ومن ثم المشاركة فى الحياة الثقافية العامة • ولم يكن خروج عرابى بجنوده للتظاهر الا حلقة اخيرة من حلقات متعددة تمثلت فى معارضة دينية واجتماعية صاخبة قادها زعماء الحركة الثقافية فى هذه الفترة • ولكن قبل تبيان مظاهر هذه الحركة الثقافية لابد أن نجيب على سؤال هام : لماذا اتجه هؤلاء المثقفون الى نقد المجتمع ، واذكوا روح الثورة بين فئاته المثقفة على الاقل ؟ فى اعتقادى أن هؤلاء الناس قد أخذوا بما طرا على المجتمع من تناقضات كان أهمها بداية الفرز الطبقى الذى حول قطاعات عريضة من الشعب الى بروليتاريا ، وحول فئات من الاجانب والمصريين الى طبقة برجوازية مع وجود طبقة وسطى فى طريقها الى التخلق انحدر منها معظم هؤلاء المثقفين • هذا فضلا عن التناقضات التى أحدثها ادخال الاساليب الغربية فى السلوك ومظاهر البذخ والترف التى عرفتها الطبقة العليا • وما صاحب ذلك من تدخل أوربى سافر فى شئون البلاد ، تمثل فى شراء انجلترا لاسهم مصر فى قناة السويس ، ثم قدوم بعثة مستر « كيف » لفحص ميزانية مصر • وتوقف الحكومة عن سداد ديونها وما ترتب على ذلك من انشاء صندوق الدين عام ١٨٧٦ (٣) •

ولقد اتجه هؤلاء المثقفون الى الشعب مباشرة وبدأوا فى خلق جو من الاستياء العام أو على الاقل الرغبة فى التغيير عند العامة • وتبلور هذا الاتجاه فى نقد المجتمع فى ثلاثة محاور أساسية :

١ ـ محور جمال الدين الافغانى الذى قدم الى مصر عام ١٨٧١ وطرده

---

(٣) عبد الرحمن الرافعى ، عصر اسماعيل : الجزء الثانى ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٢ ، ١٩٤٨ ، ص ١٣٤ •

منها الخديوى توفيق عام ١٨٧٩ • وقف جمال الدين موقفا مناهضا للخديوى وللسيطرة الأجنبية ودعا الى الاصلاح كاساس للوحدة الوطنية وكطريق وحيد لتقوية موقف مصر فى مواجهة التحكم الاوربى • وهى دعوة لاقت آذانا مصغية من المثقفين وضباط الجيش (٤) • ولقد تجمع هؤلاء حول جمال الدين الافغانى فى المحفل الماسونى ثم بعد ذلك فى جماعة « مصر الفتاة » (٥) • وايقظت خطب جمال الدين وتعاليمه نهضة وطنية تجلت فى « ظهور الصحف السياسية واقبال الناس عليها وتحدثهم فى شئون البلاد العامة وتبرمهم بحالتها السياسية والمالية ، ثم ظهور روح المعارضة واليقظة فى مجلس الشورى على يد نواب نفخ فيهم جمال الدين من روحه » (٦) • ويذكر رفعت السعيد أن جمالا لم يكن يستهدف تثوير الفلاحين بل انه أراد أن يجمع حوله قيادة واعية من المثقفين المستنيرين والتجار والاعيان وضباط الجيش (٧) • واذا كان هذا صحيحا فان جمال الدين الافغانى كان يدرك الظلم الواقع على الفلاحين الفقراء ، ويتمنى لو تحركوا لتجاوز هذا الظلم • فقد قال فى احدى خطبة بالاسكندرية : « أنت أيها الفلاح المسكين تشق قلب الأرض لتستنبت فيها ما يسد الرمق وتقوم بأود العيال فلماذا لا

---

(٤) P. J. Vatikiotis, The Modern History of Egypt Weidenfeld and Nicolson, London, 1969, pp. 137-8.

(٥) رفعت السعيد ، الأساس الاجتماعى للثورة العرابية ، مكتبة مدبولى ، ١٩٦٦ ، ص ص ٨٨ ــ ٩١ • وكان من هؤلاء عبد الله النديم ، وسعد زغلول ، ومحمد عبده ، واديب اسحق ، وعبد السلام المويلحى ، وسليم النقاش ، ومحمود سامى البارودى وغيرهم •

(٦) الرافعى ، المرجع السابق ، ص ١٣٥ •

(٧) رفعت السعيد ، **مرجع سابق** ، ص ٨٩ •

تشق قلب ظالميك ؟ لماذا لا تشق قلب الذين يأكلون ثمرة أتعابك » (٨) ٠

٣ ـ محور عبد الله النديم الذى بدأ حياته فى الاسكندرية حيث كان خطيبا مفوها ووطنيا غيورا ٠ وكان يعقد حفلات فى فناء مدرسة الجمعية الخيرية بالاسكندرية يدرب فيها النشء على الخطابة ويبث فيهم روح الغيرة على وطنهم ليقودوا اصلاح الأمة بعد أن يبلغوا مبلغ الرجال (٩) ٠ وبعد ان انتقل الى القاهرة أصبح من أتباع الشيخ جمال الدين الافغانى ، غير أنه كان ألصق بالفقراء من عامة الشعب الذين ينتمى اليهم ٠ وهذا هو الذى دفعه الى الانفصال عن جماعة « مصر الفتاة » حيث لم يعجبه أسلوب عملها ٠ واعلن النديم أنه لم يجد « طريقا لتنبيه الوجوه والافراد الا بعصبية أكونها من الفقراء » (١٠) ٠ واستطاع بهذا أن يكون محورا نقديا كانت نافذته مجلة « التنكيت والتبكيت » التى بدأ فى اصدارها عام ١٨٨١ ٠ واستطاع النديم من خلال مقالاته الساخرة أن يثير الحماس ويلفت الانظار الى الظواهر التى يراها سببا لتدهور المجتمع وأهمها :

(١) الاستغلال الواقع على كاهل الفلاحين من المرابين ٠ ولقد كتب عبد الله النديم فى هذا الصدد حوارا طريفا بعنوان « محتاج جاهل فى يد محتال طامع » ٠ ويجرى الحوار بين تاجر وزارع ٠ وهو

---

(٨) نقلا عن : احمد شفيق باشا ، **مذكراتى فى نصف قرن** ، الجزء الأول ، مطبعة مصر ، ١٩٣٤ ٠

(٩) « ترجمة عبد الله النديم » بقلم احمد افندى سمير : منشورة فى صدر مجموعة من المقالات بعنوان : **سلافة النديم** جمع عبد الفتاح النديم ، المطبعة الجامعة بمصر ، ١٨٩٧ ، ص ٧ ٠

(١٠) نقلا عن رفعت السعيد ، **مرجع سابق** ، ص ٩١ ٠

يكشف عن كيفية استغلال التاجر (المرابى) للفلاح وامتصاص انتاجه واستغلال سذاجته (١١) • (ب) التفرنج والتقليد الاعمى للغرب واحتقار البيئة التى يعيش فيها • وكتب عبد الله النديم فى هذا الصدد حوارا بعنوان « عربى تفرنج » يدور بين مصرى عائد من الخارج ووالده (١٢) • كما كتب مقالا بعنوان « غفلة التقليد » يتحدث فيه عن الشخص الذى يزين بيته بالكتب دون أن يقرأها (١٣) • وما من شك فى أن كتابات النديم واتصاله بقادة الثورة العرابية ـ التى كان ضمن المتهمين فيها ـ قد ساهم فى ايقاظ جذوتها قبل أن يفكر عرابى وزملاؤه فى التظاهر •

٣ ـ محور الصحافة : لقد كانت مجلة « التنكيت والتبكيت » جزءا من حركة صحفية واسعة النطاق بدأت فى مصر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر • فقد اسس الاخوان تكلا الاهرام بالاسكندرية عام ١٨٧٥ ، غير أنه لم يقم بدوره القيادى بين الصحف المستقلة الا فى بداية القرن العشرين • وتمكن جمال الدين الافغانى من دفع حركات معارضة الأسرة المالكة الى الامام ، الامر الذى اعطى

---

(١١) سلافة النديم ، **مرجع سابق** ، ص ص ٨٦ ـ ٨٧ • التاجر كان قد اعطى الفلاح مائة جنيه بالفرط (بالربا) • ويأتى له الاخير بكل انتاجه الذى يزيد كثيرا عن المائة جنيه • وينتهى التاجر من الحساب بأن يكون له عند الفلاح تسعون جنيها (غير الارباح) • ويعده الفلاح بأنه سوف يبيع له أرضا لسدادها •

(١٢) **المرجع السابق** ، ص ص ٨٢ ـ ٨٣ • والحوار يدور بين زعيط (الابن) ومعيط (الاب) حيث يستنكر تقاليد والده فى طريقة السلام ولا يتذكر الابن اسم البصل •

(١٣) كتب عبد الله النديم هنا يقول « ان دام تقليد الناس لبعض الافراد فيما يفعلونه من غير نظر فى المنفعة ولا تعقل لما يراد ضاعت العلوم وتحولت الطباع وانحلت عرى الوحدة واصبح الكل فى غفلة التقليد » •

دفعة لظهور الصحافة غير الرسمية • فقد أسس سليم النقاش فى عام ١٨٧٧ « جريدة مصر الأسبوعية » وكانت تعارض الرقابة الأوربية ، وتتبعها بجريدة يومية اسمها « التجارة » والتى أغلقها رياض باشا فى عام ١٨٧٧ • وفى عام ١٨٨٠ نشر أديب اسحق فى باريس صحيفته « مصر القاهرة » • وكان جيمس صنوا قد أسس فى عام ١٨٧٦ جريدة « مرآة الأحوال » التى صب فيها السخرية اللاذعة على الخديوى اسماعيل • وفى العام التالى (١٨٧٧) أسس جريدته الشهيرة « أبو نضارة » وهى أول جريدة ساخرة تنشر فى مصر • وقام اسماعيل بطرده غير أنه استمر فى نشرها فى باريس حتى وفاته عام ١٨١٢ • وفى عام ١٨٧٩ أسس سليم الخورى جريدة « مرآة الشرق » والتى أشرف على تحريرها ابراهيم اللقانى وهو من أتباع جمال الدين الافغانى (١٤) • ولا شك أن بعض هذه الصحف كانت تبث الحماس الوطنى وتؤلب الشعب على الحكومة مما دفع رياض باشا الى مصادرة الكثير منها • وربما تكون جريدة « أبو نضارة » هى أكثر هذه الصحف نشاطا وأشهرها تعصبا فى هذا المضمار • فقد شن هجوما سافرا على الموظفين الفرنجة والاتراك ، بل انه هاجم الوزراء والامراء والخديوى بأسلوب ساخر مستخدما لهم القابا رمزية « كشيخ الحارة » للخديوى اسماعيل ، و «توقيف» للخديوى توفيق • وكشفت الصحيفة سواء وهى تصدر فى مصر أو فى باريس عن الظلم الواقع على الفلاحين الى درجة أنه كان يسمى الفلاح « أبو الغلب » • وصوره فى محاوراته ورسومه الكاريكاتيرية وكأنه فريسة هذا الطغيان الذى تمارسه الصفوة الحاكمة (١٥) •

---

(١٤) P. P. Vatikiotis, op. cit., p. 171.

(١٥) انظر : ابراهيم عبده ، **أبونضارة** ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٥٣ •

والحقق أن هذه الصحف وغيرها وكذلك المناضلين من صفوة المثقفين وعلى رأسهم جمال الدين الافغانى وعبد الله النديم قد هيأوا لقيام حركة تمرد ضد السيطرة الأجنبية من ناحية وضد نوعية الحياة التى خلقتها الثقافة الأجنبية من ناحية أخرى • وكان الجيش فى هذه الفترة يعانى من هذه السيطرة الأجنبية خاصة على مستويات القيادة العليا ، فضلا عن التفرقة بين المصريين والأجانب فى نظام الترقى • ولقد دفعت هذه الأمور عرابى وزملاءه الى انشاء تنظيم (لجنة) داخل الجيش برئاسة عرابى بحيث يرفع مطالب الضباط المصريين الى الخديوى والوزارة • وقد تشكل هذا التنظيم بعد أن سمع الضباط بأن هناك مؤامرة شركسية بابعاد بعض الضباط المصريين وفصل بعضهم الآخر ، الأمر الذى دفع الضباط الى الاجتماع بمنزل عرابى وانتخابهم عرابى رئيسا لهم ، وكتابتهم عريضة بمطالبهم رفعوها الى رياض باشا رئيس الوزارة (١٦) • وما كانت مظاهرة ٩ سبتمبر والتى ترتب عليها ماعرف بالثورة العرابية والتدخل الأجنبى السافر الا تعبيرا عن هذا السخط الذى انتشر بين الصفوة المثقفة فى مصر (١٧) •

ولقد ذكرت فى بداية هذه الفقرة أن ثورة عرابى كانت ثورة بالنيابة • فقد تحرك الجيش نيابة عن الصفوة المثقفة وجماهير الشعب ـ أو هكذا اعتقد الضباط ـ ففى غياب نيابة حقيقية اعتقد الضباط أنهم قادرون على التحدث باسم الشعب • فهم من ناحية أقوى فئاته الاجتماعية من حيث

---

(١٦) رفعت السعيد ، **مرجع سابق** ، ص ص ١٤٧ ـ ١٤٨•

(١٧) أثارت هذه الظروف حوادث تذمر وقلق داخل الجيش ترجع بداياتها الى عام ١٨٦٦ عندما اجتمع جماعة من الضباط الناقمين على سياسة الخديوى اسماعيل التى تسببت فى تأخير مرتباتهم ١٨ شهرا وعزل بعضهم ، وساروا الى نظارة المالية حيث تم تبادل اطلاق النار بين الطرفين وقبض على زعيمى المظاهرة وأفرج عنهما بعد يوم • انظر : احمد شفيق مذكراتى فى نصف قرن ، **مرجع سابق** ، ص ص ٣٣ ـ ٣٥•

امكانية استخدام القوة • وهم من ناحية أخرى أبناؤه الذين « خرجوا من الحقول ، ومن وراء المحراث والساقية ومن مصانع السكر ومزارع القطن» (١٨)• ومن المتوقع فى هذه الظروف أن تلاقى الثورة تأييدا وتشجيعا من الفئات صاحبة المصلحة فى احداث تغيير ، وأن تلاقى معارضة وانكارا من الصفوة المسيطرة من الأجانب والمرتبطين بهم من المصريين • وهنا تجلى الصراع بين الصفوة القديمة والصفوة الجديدة فى موقف تاريخى • ونحاول فى السطور القادمة أن نلقى الضوء على موقف جماعات الصفوة فى الريف من الثورة العرابية بحيث يكشف لنا هذا عن كيفية تشكل الصراع بين المصالح فى مواجهة تاريخية •

كشف الفصل الخامس على أن الصفوة قد تكونت فى الفترة التى حدثت فيها الثورة العرابية من ثلاثة أجنحة : الصفوة القديمة من الأجانب ، والصفوة البرجوازية الصاعدة من المصريين ، وجماعة العمد والمشايخ فى الريف التى بدأت فى التحول الى موقف تابع • والسؤال المطروح الآن: ما هو موقف هذه الجماعات من الثورة العرابية كتب احمد شفيق عما حدث بعد الثورة العرابية يقول : « •• انقسمت الحكومة المصرية الى قسمين •• قسم الحكومة الخديوية فى الاسكندرية وقسم الحكومة العرابية فى القاهرة والاقاليم • وكذلك انقسمت الأمة الى فريقين : فريق الخديوى •• وفريق العرابيين • وكان ثمة فريق آخر مزيج من عرابيين وغيرهم • وفيه كثيرون ممن كانوا يناصرون الخديوى باطنا ويكيدون للعرابيين سرا ولكن يتظاهرون بمناصرتهم اتقاء بطشهم »(١٩)• وتعبر هذه الكلمات بصدق عن مواقف جماعات الصفوة من الثورة العرابية • فمن المتوقع أن تعارض الصفوة القديمة من الاجانب الثورة العرابية التى

---

(١٨) احمد عبد الرحيم مصطفى ، **مصر والمسألة المصرية** ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ١٤١ •

(١٩) احمد شفيق ، **المرجع السابق** ، ص ص ١٨٠ ـ ١٨١ •

تستهدف احداث تغيير فى عكس اتجاه مصالحهم • ومن المتوقع أن يحدث انقسام داخل الصفوة المصرية الصاعدة فتؤيد عناصر منها هذه الثورة وتعارضها عناصر أخرى ، وان تتذبذب هذه الصفوة بالكامل فى موقفها من الثورة فى مراحل مختلفة منها وفقا لرؤيتها لمصالحها • ومن المتوقع ـ ثالثا ـ أن يعكس موقف العمد والمشايخ تبعيتهم للصفوة البرجوازية الناشئة •

ولنترك هذه الرؤية الافتراضية ونعتمد على بيانات واقعية لنكشف عن هذه المواقف بالتحديد • سوف أبدأ بأن أصنف الافراد الذين تمت محاكمتهم فى أحداث الثورة العرابية حسب نوعية النشاط الاقتصادى أو الوظيفى الذى يشتغلون به • ويكشف الجدول التالى عن هذا التصنيف : (٢٠)

---

(٢٠) تم تصنيف هذه البيانات من : **وثائق الثورة العرابية** ، قضايا المتهمين فى الثورة ، من محفظة رقم ٧ ـ ٠١١ دار الوثائق القومية ، القلعة • وقد اتبعت القواعد الآتية فى عملية التصنيف :

١ ـ صنف الشخص فى الفئة التابع لها اذا كان ذلك مذكورا صراحة أمام اسمه ، وهى الصفة الغالبة فى معظم الأسماء •

٢ ـ صنف تحت فلاح أى فرد من قرية غير مبين المهنة •

٣ ـ بعد التفكير فى استبعاد الملفات التى تضم مجموعات من الافراد ، استقر الرأى على أن توضع فى خانة مستقلة (محاكم مع مجموعة وغير مبين المهنة) على أن يوضع الشخص المبينة مهنته فى الفئة التى ينتمى اليها •

٤ ـ صنف أى شخص له رتبة افندى وغير مبينة مهنته فى فئة «غير مبين»

٥ ـ عندما كان يحدث التباس يصنف الشخص فى أقرب الفئات الى وضعه الاجتماعى ولم يحدث ذلك الا فى خمس حالات فقط •

٦ ـ أضيف الى فئة « غير مبين » أى شخص من مدينة وغير مبين المهنة •

٧ ـ اذا كان الشخص ابن نائب أو ابن باشا أو يدل اسم أسرته على انه من الاعيان صنف تحت هذه الفئة •

٨ ـ صنف الشخص الذى من الاشراف تحت فئة الاعيان •

المتهمون فى قضايا الثورة العرابية مصنفون حسب الوضع الاجتماعى

مسلسل	الوضع الاجتماعى	العدد	النسبة المئوية
١	ضباط (جيش ـ بوليس)	١١٣	٢٧ر١
٢	رجل دين	٨	٢
٣	فلاح	٥٠	١٢
٤	مدير أو وكيل مديرية	١١	٢ر٦
٥	من الاعيان	٢٦	٦ر٢
٦	عضو مجلس نواب	٢	٥ر
٧	عمدة	٣٥	٨ر٤
٨	موظف أو مهنى	٥٢	١٢ر٥
٩	اعمال حرة	١١	٢ر٦
١٠	شيخ ناحية	٤	١
١١	صف ضباط أو عسكرى	٥	١ر١
١٢	من العربان	٦	١ر٤
١٣	عامـــل	٤	١
١٤	شيخ حرفة	٢	٥ر
١٥	تاجـر	٣	٧ر
١٦	وكيل نظارة أو وزير	٣	٧ر
١٧	محافظ	١	٢ر
١٨	طالب	٢	٥ر
١٩	أجنبى	١	٢ر
٢٠	محاكم مع مجموعة وغير مبين المهنة	٢٢	٣ر٥
٢١	غير مبين	٥٦	١٣ر٥
	المجموع	٤١٧	١٠٠

والمستعرض لبيانات الجدول يلاحظ على الفور أنه لم يقدم للمحاكمة سوى أجنبى واحد ، وهو ما يعد مؤشرا جيدا على وقوف الأجانب فى وجه الثورة طالما أن أحد أهدافها المعلن هو الحد من النفوذ الاجنبى ومقاومته مقاومة مسلحة أثناء التدخل • والمحقق أن كبار الملاك من الأجانب قد تآمروا ضد الثروة الى درجة أنهم دبروا مؤامرة لاغتيال عرابى بعد تشكيل وزارة الثورة وهى المؤامرة التى ترتب عليها استقالة الوزارة بعد أن رفض الخديوى التصديق على الحكم بتجريد أربعين من الضباط الشراكسة ممن اشتركوا فى المؤامرة من رتبهم ونفيهم الى السودان ، وقبوله مذكرة من انجلترا وفرنسا باسقاط حكومة البارودى وابعاد عرابى ورفاقه خارج القطر • كما دبر الأجانب مع الخديوى مذبحة الاسكندرية حتى يظهروا عرابى بمظهر العاجز عن حفظ النظام • كما حرضوا الأهالى على عدم تقديم العون للجيش، وحاولوا استمالتهم الى صفوف الخديوى ، ورفضوا اعطاء المحاصيل للجيش بدعوى أنها من حق الدائنين الأجانب ، وهاجموا المشايخ الذين أظهروا ميلا تجاه الثورة سواء بالتطوع فى صفوف الجيش أو بتقديم العون المادى من محاصيل وماشية وخلافه (٢١)• •

ومن الطبيعى أن يقف الأجانب هذه الوقفة طالما أنهم يحتقرون المصريين وينكرون عليهم أى قدرة على ادارة شئون بلادهم • وقد تجلى هذا فى عبارة شريف باشا عندما رفض مجلس النواب مشروع الدستور الذى قدمه حيث قال : « اننى أنا الذى أنشأت الحزب الوطنى وسيجدون انهم لا يستطيعون العمل بدونى • فان هؤلاء الفلاحين بحاجة دوما الى من يرشدهم » (٢٢) • ولقد كان شريف باشا ــ وكما يقول بلنت « ••• متفرنجا لا يخلو من الغطرسة واحتقار الفلاحين وكان ينظر الي قادة الثورة نظرة استهانة واحتقار » (٢٣)•

---

(٢١) انظر **وثائق الثورة العرابية** ، قضايا المتهمين فى الثورة ، محفظة رقم ٨ وانظر على بركات • ص ص ٤٠٦ ــ ٤٠٨•

(٢٢) نقلا عن رفعت السعيد ، **مرجع سابق** ، ص ١٤١•

(٢٣) **المرجع السابق** ، ص ١٤٤•

ونفس الموقف يصدر عن رياض الذى اعتبر المطالبة بعزل عثمان رفقى (شركسى) اهانة ، ولم يستطع أن يتصور ان أحدا يستطيع أن يحل محله (٢٤) ٠

غير أن موقف الاجانب لا يرتبط فقط باحتقار المصريين ، واعتقادهم بأنهم لا يستطيعون ادارة شئون بلادهم ، وانما ارتبط أيضا باحساسهم بأن أى تغيير فى بناء القوة القائم سوف يهدد مصالحهم ٠ وكان هذا الاحساس يراود الأجانب من قبل أن تحدث الثورة العرابية ٠ وقد تجلى ذلك فى مظاهر عديدة من بينها على سبيل المثال شكوتهم من استفحال نفوذ مشايخ القرى استفحالا يهدد بطردهم « من البلاد جميعا » (٢٥) ٠ وفى ضوء هذا ، فان المطالبة بالمشاركة فى السلطة من جانب الصفوة العسكرية قد ادت الى استفحال شعورهم بتهديد مصالحهم التى تشعبت فى الاقتصاد المصرى فى هذه الفترة٠وترتب على ذلك انهم ناهضوا الثورة مناهضة شديدة وتعاونوا مع الخديوى والانجليز على التدخل الأجنبى لقمع الثورة (٢٦) ٠

واذا كان النصف الثانى من القرن التاسع عشر قد شهد صراعا بين الصفوة الأجنبية القديمة وبين الصفوة البرجوازية الصاعدة من المصريين ٠ واذا كان احد الاهداف المعلنة للثورة العرابية هو القضاء على نفوذ الأجانب من الاتراك والشراكسة ، فانه يترتب على ذلك أن يتحمس كبار الملاك

---

(٢٤) **المرجع السابق** ، ص ١٤٨٠

(٢٥) انظر على بركات ، **مرجع سابق** ، ص ٤٠٩٠

(٢٦) يذكر احمد عبد الرحيم مصطفى نقلا عن المسيو مونج القائم الفرنسى بالاعمال أن الاجانب « كانوا يعيشون فى محيط أوربى خالص دون أن يقوموا بأى اتصال بالوطنيين ، بحيث لم يتسن لهم ادراك مصالح السكان ووجهات نظرهم واصبحوا يحكمون على كل شىء وفقا لوجهات النظر الاوربية وسياسات أوربا » ، انظر : احمد عبد الرحيم مصطفى ، **مرجع سابق** ، ص ١٤٢٠

للثورة العرابية طالما أنها ستخلصهم من نفوذ الأجانب • ولكن هذا الموقف لم يستمر الى النهاية • فعندما تيقن كبار الملاك أن حركة التغير تتجه فى عكس اتجاه مصالحهم الاقتصادية ، اتخذوا من الثورة موقفا معارضا وبدأوا فى محاربتها بكل الوسائل • وفى ضوء هذا يمكن تفسير الموقف المتذبذب لصفوة كبار الملاك من الثورة العرابية •

من الجدول السابق يتضح أن عدد كبار الملاك والاعيان ومن على شاكلتهم (أعضاء مجلس النواب ومديرى المديريات أو الوزراء) يشكلون نسبة ضئيلة من عدد المحاكمين فى أحداث الثورة • فقد بلغ عددهم ٤٣ فردا بنسبة ٢ر١٠ ٪ من مجموع المحاكمين • ويدل هذا على أن المحصلة النهائية لمشاركة الأعيان فى الثورة كانت ضئيلة • غير أن الأحداث تشير الى أنهم ساندوا الثورة فى البداية ، ويبدو أن هؤلاء الذين قدموا للمحاكمة هم الذين استمروا على موقفهم الى النهاية • وتجلت مساعدتهم المبدئية للثورة فى (٢٧) (أ) تشجيع الفلاحين على الالتفاف حول عرابى والتطوع للجيش والتبرع له بالمال ، (ب) وعلى مستوى السياسة العليا وقف الأعيان فى صف عرابى فى اختيار الأسس التي تمت عليها انتخابات المجلس النيابى ، وفى رفض مشروع اللائحة الاساسية الذى تقدم به شريف فى فبراير ١٨٨٢ وفى اتخاذ موقف متشدد من وزارة شريف انتهى باقالتها •

على أن هذه المساندة لم تستمر الى النهاية • فقد طعن كبار الملاك الثورة من الخلف من خلال بعض عناصرهم القوية ، خاصة عندما ظهرت عند الثوار فكرة عزل الخديوى وهو يمثل السلطة التى تحمى مصالحهم • فقد رفض كبار الملاك فكرة عزل الخديوى • كما حاولوا أن يقنعوا الناس بعصيان عرابى ورفاقه بعد أن أصدر السلطان العثمانى قرارا بذلك • وفضلا عن ذلك فقد تواطئوا مع بعض الضباط لطعن الجيش فى ظهره مما أدى الى

---

(٢٧) على بركات ، ص ص ٤١٧ ـ ٤١٨ ، ص ص ٤١٢ ـ ٤١٣ •

هزيمته فى التل الكبير (٢٨) • وقد لعب محمد سلطان وهو من كبار الملاك) دورا أساسيا فى تواطؤ كبار الملاك مع الخديوى لاقناع الناس بعصيان عرابى • فقد ذكر فى مذكراته عن زيارة له لبورسعيد أنه جمع المحافظ والعلماء والأعيان وأفهمهم ما فعله عرابى وجماعته وأن الانجليز ليس فى نيتهم تملك البلد وانما فقط تأديب العصاة وطلب منهم حض الاهالى الذين هاجروا للعودة الى بلدهم • ويذكر أيضا فى مذكراته عن الثورة العرابية أنه قابل الأميرال سيمور الذى أظهر رغبته فى فتح المخابرات مع العربان لابعادهم عن عرابى ، فأعلن له استعداده لتقديم جمال لتنفيذ المهمة وأنه مستعد لبذل الجهد فى تنفيذ هذه الرغبات • كما أقر سلطان فى هذه المذكرات أيضا أنه أرسل خطابات الى بعض مديرى وأعيان الوجه القبلى بخصوص عصيان عرابى (٢٩)•

ولم يقتصر دور الأعيان على محاربة الثورة فى تصوير عرابى بصورة العاصى الخائن • بل انهم لعبوا دورا فى وقائع المحاكمة • فطفقوا يرسلون تلغرافات يتهمون فيها بعض الاشخاص بحيث تستخدم كدليل اتهام • فقد أرسل محمد سلطان باشا تلغرافا فى ١٩ سبتمبر ١٨٨٢ ذكر فيه أن اسماعيل رأفت مدير المنيا (وقد حوكم فى حوادث الثورة)، « وقعت منه حوادث شنيعة وساعد العصاة » وطلب الأمر باحضاره وسجنه بضبطية مصر (٣٠) • وكان الأعيان من أعضاء مجلس شورى النواب ، ومن التجار وكبار الملاك يدلون بشهادات ضد المتهمين • ففى ملف أمين يوسف من دمياط عريضة اتهام مقدمة من ١٩ من التجار ذكروا فيها أنه كان « يوزع الجرائد ويهيج الاهالى ويحثهم على التطوع للجهاد •• » (٣١) وفى ملف احمد محمود عمدة الرحمانية عريضة

---

(٢٨) **المرجع السابق** ، ص ص ٤١٣ ــ ٤١٤•

(٢٩) **محافظ أبحاث** ، محفظة رقم ١١٦ • وبها أوراق عن الحوادث العرابية تضم بعض مذكرات محمد سلطان باشا عن الثورة•دار الوثائق القومية•

(٣٠) يوجد هذا التلغراف ضمن مجموعة الاوراق الموجودة بالمحفظة السابقة •

(٣١) وثائق الثورة العرابية ، **قضايا المتهمين** ، المحفظة رقم ٠٩ ملف رقم ٠٨٥

اتهام من بعض أعضاء مجلس النواب عددوا فيها التهم على النحو التالى : كان من حزب العصاة ، ومن أكبر المتحدين معهم ، وكان ينتمى الى محمود سامى البارودى ، واحمد عرابى « الانتماء الكلى » ، وكان دائم التردد على الجيش بكفر الدوار (٣٢) • وتكتظ ملفات المتهمين بعرائض الاتهام من الأعيان فقد بينت وثيقة محفوظة بملف اسماعيل رافت أن عدد عرائض الاتهام المقدمة ضد بعض أفراد من محافظة المنيا بلغ ١٨ عريضة وصلت كلها فى أسبوع (من ١٦ ــ ٢٣ صفر عام ١٢٩٩ هجرية) ، وهى مقدمة من أعيان وعمد وتجار وموظفين من المنيا ويتراوح عدد التوقيعات على كل عريضة من هذه العرائض ما بين ٢١ ــ ١٠٠ توقيع (٣٣) •

على أن موضوع عرائض الاتهـــام قد كشفت بجـلاء عن موقف صفوة العمد والمشايخ من الثورة • ويميل بعض الباحثين الى اضفاء دور البطولة على موقف العمد والمشايخ فى الثورة العرابية (٣٤) • والواقع أننا نود أن نفترض هنا أن العمد والمشايخ لم يكن لهم ذلك الدور البطولى • وأن موقفهم يشبه الى حد كبير موقف كبار الملاك • وهذا أمر طبيعى طالما أن العمد والمشايخ قد تحولوا بفعل تأثيرات التحول الرأسمالى الى صفوة تابعة تقطن الريف • فقد انضم العمد والمشايخ الى معسكر تأييد الثورة من واقع موقفهم التابع • فضلا عن أنهم كانوا يأملون فى مزيد من القوة السياسية شأنهم فى ذلك شأن أى جماعة من المتصلين بمصدر القوة فى المجتمع • على أن مشاركتهم فى الثورة ما لبثت أن تحولت الى معارضة لها • فقد لعب العمد والمشايخ دورا بارزا فى توجيه عرائض الاتهام الى المحاكمين ، وفاق دورهم فى ذلك دور كبار الملاك•

---

(٣٢)وثائق الثورة العرابية ، **قضايا المتهمين** ، المحفظة رقم ٠٩ ملف رقم ٠٦٧•
(٣٣) المحفظة السابقة ، ملف رقم ٨١ •
(٣٤) انظر رفعت السعيد ، **المرجع السابق** حيث ذكر أن « عرابى قد تحول الى زعيم شعبى للعمد والفلاحين والفقراء عموما » ص ١٥١ • وانظر أيضا على بركات ، **المرجع السابق** ، حيث يربط بين ثورة الفلاحين وثورة العمد الذين رأوا فى « عرابى محررا لهم من ظلم كبار الملاك والاتراك والشراكة » • ص ٠٢٢٠

وليس أدل على هذا التحول من أن الذين استمروا فى مساندة الثورة حتى وقت المحاكمة من العمد والمشايخ لم يتعد ٣٩ شخصا منهم ٣٥ عمدة و٤ مشايخ كما يكشف عن ذلك الجدول السابق · وهم يشكلون نسبة ضئيلة من عدد المحاكمين (٤ر٩ ٪) ·

ولقد تجلت مساندة العمد والمشايخ للثورة فى البداية فى انضمامهم الى جماهير الفلاحين فى تأييد الثورة · وقد تمثل ذلك فى التبرع بالحبوب والمال لمساعدة الجنود ، أو قيادة الفلاحين الى التطوع فى الجيش (من ذلك مثلا تعاون بعض العمد من المنيا مع الشيخ احمد عبد الجواد انقاياتى فى تعبئة ٢٦٠٠ متطوع وتوجهوا بهم الى كفر الدوار) ، أو الاستيلاء على محلات الأسلحة التى يملكها الأجانب ، وكذلك مهاجمة الدوائر والجفالك والاستيلاء على ما بها من غلال لتقديمها الى سلطات الثورة ، والمناداة برفع الديون حيث جاء فى مذكرة الاتهام الموجهة الى ثلاثة من زعماء الفلاحين بالمنيا « أنهم كانوا يرددون أقوالا بأن عرابى صار الخديوى ويتعين قطع دابر الأمراء والاتراك وتكون الحكومة لنا فنوظف فيها كما نشاء والديون التى على الحكومة وعلى الاهالى فترفع جميعا وأطيان الجفالك نستولى عليها » (٣٥) ومن مظاهر التأييد الأخرى توقيع العمد والمشايخ ــ بايعاز من قوى تنظيمية للثورة كانت تجوب القطر ــ على محاضر تأييد لعرابى بحيث يفرض الأمر له من جانب الشعب ، وحثهم للفلاحين على التوقيع على هذه المحاضر (٣٦) ·

ولكن ما أن ظهرت فى الافق بوادر فشل الثورة حتى انسحب العمد والمشايخ من مساندتها · وما أن بدأت المحاكمات حتى طفق العمد والمشايخ يكتبون محاضر اتهام ضد المحاكمين وبعضهم من العمد · ومعظم هذه المحاضر

---

(٣٥) **وثائق الثورة العرابية ، محاكمات الثورة** ، محفظة رقم ٠١٣ وانظر أيضا محفظة رقم ٤ ، ومحفظة ٨ ومحفظة رقم ١٧ ·

(٣٦) انظر على بركات ، **المرجع السابق** ، ص ص ٤٢٠ ــ ٤٢١ ·

(أو العرائض) كانت تكتب بشكل جماعى من عمد ومشايخ المركز برمته ضد شخص أو أكثر من المتهمين فى المنطقة • وكانت العريضة تكتب فى الغالب بعد اجتماع لجمعية العمد والمشايخ فى المركز • ولنأخذ بعض نماذج من هذه العرائض : (ا) محضر اتهام من عمد ومشايخ قسم ملوى (وعددهم ٤٣) ضد أمين يوسف من « الشيخ تمى » باسيوط • وجاء فيه أن المتهم كان منضما الى العصاة وأنه حرض الاهالى « لاطاعةعرابى الشقى » وأخبرهم «انه صار أبطال افنديذا الخديوى وصار الحكم لعرابى » (٣٧) (ب) محضر اتهام من عمد ومشايخ مركز نارسكور (وعددهم ٦٦ عمدة وشيخ) ضد احمد النجار بأنه كان يسعى « للفساد والتردد على العصاة واشاعة الاكاذيب للاهالى » ، وأنه لا بد أن يعاقب « نظير ما جناه وعبرة لخلافه » (٣٨) • (جـ) وفى ملف اسماعيل بك رأفت مدير المنيا عريضة اتهام موقع عليها من مائة من موظفى المديرية ومن العمد والمشايخ ذهبوا فيها الى أنه كان يرغم الناس على التبرع لعرابى ، وأنه كان يجمع التلاميذ ويجعلهم يطوفون الشوارع بالطبول مرددين عبارات صاغها لهم قاضى المديرية مثل : « يامولانا ياعزيز اهلك دولة الانجليز » ، « يامولانا ياباري انصر باشتنا عرابى » ، « يانصارى ياغشاشه والى البر عرابى باشا » (٣٩) •

ولم يكتف العمد والمشايخ بالعرائض فقط بل كانوا يستدعون الى التحقيق كشهود اثبات • وعلى سبيل المثال فقد استجوب بوليس الزقازيق عمد ومشايخ مركز الزقازيق بشأن نشاط أمين بك الشمسى وأقروا جميعهم فى التحقيق أنه استقبل عرابى فى الزقازيق وكان يرمى عليه الورد ، ودعاه الى وليمة فى منزله ، وأوعز للناس بأن يقولوا « يعيش عرابى » بدلا من « يعيش الخديوى » • وأدلت نفس المجموعة من العمد والمشايخ بشهادة ضد احمد محجوب (من العصلوجى) بالشرقية • كما أدلى عمد ومشايخ

---

(٣٧) **وثائق الثورة العرابية** ، محفظة رقم ٩ ، ملف رقم ٨٨•
(٣٨) المحفظة السابقة ، ملف رقم ٧٢•
(٣٩) المحفظة السابقة ، ملف رقم ٨١•

مركز القنايات (وعددهم ٣٢) بشهادة فى قضية أمين الشمسى أيضا وكان موقفهم يشبه تماما موقف المجموعة الاخرى التى أدلت بشهادة ضده (٤٠) ٠

ويكشف هذا عن الموقف الحقيقى للعمد والمشايخ ٠ وهو موقف تحدد بموقفهم التابع لكبار الملاك وبالتالى للحكومة ٠ وقد يثار هنا تساؤل عن أن العمد والمشايخ ربما يكونون قد أدلوا بهذه الشهادات وكتبوا هذه العرائض تحت ضغط البوليس وهو تساؤل له وجاهته ٠ ومع ذلك فان الاستجابة لهذا الضغط من جانب البوليس يدل على تذبذب موقف العمد والمشايخ وعدم وضوحه ٠ فضلا عن انه يدل على خضوعهم وتبعيتهم ٠ فربما يكون كبار الملاك هم الذين لعبوا دورا فى اقناع العمد والمشايخ بالادلاء بهذه الشهادات وفى تجميعهم لكى تكون الشهادة جماعية ٠

والآن ، اذا كان الأجانب قد اتخذوا من الثورة موقفا معارضا ، واذا كان كبار العمد والمشايخ قد اتخذوا موقفا متذبذبا ، فوقفوا بجانب الثورة فى البداية ثم تصدوا لها فيما بعد ٠ اذا كان ذلك كذلك ، فمن الذى وقف بجانب الثورة من جماعات الصفوة اذن ؟ أوضح التحليل الذى قدمناه فى صدر هذه الفقرة أن الذى هيأ للثورة هم جماعة من المثقفين ينتمون الى الطبقة الوسطى الناشئة التى كانت فى دور التخلق فى هذا الوقت ، وأن الصفوة العسكرية التى تنتمى لنفس الشريحة تقريبا هى التى أخذت على عاتقها القيام بالثورة بالنيابة ٠ وفى هذه الحالة فانه من المتوقع أن تكون صفوة المثقفين والمتعلمين والفئات المستنيرة من الفلاحين هم أكثر الفئات دفاعا عن الثورة ٠ ويكشف الجدول السابق عن أن أكبر الفئات التى قدمت للمحاكمة بعد الضباط هى الموظفون ويليهم الفلاحون ٠ ويمكن أن نضم الى هؤلاء أصحاب الأعمال الحرة (المحامون والأطباء والصيادلة) والطلبة ورجال الدين ٠ وبهذا يصبح عددهم ١٢٣ فردا بنسبة ٢٩٫٦ ٪ من مجموع المحاكمين ٠ واذا أضفنا الى هؤلاء عدد الضباط (البالغ عددهم ١١٣) وصف الضباط والجنود (البالغ

---

(٤٠) المحفظة السابقة ، ملف رقم ٨٦٠

عددهم ٥) والعمال (البالغ عددهم ٤) لأصبح العدد الكلى لمن ينتمون الى الشريحة التى نتحدث عنها هنا ٢٤٥ فردا بنسبة ٥٨ر٧ ٪ من المجموع الكلى للمحاكمين • ويدل هذا على أن الذى وقف بجانب الثورة هى تلك الصفوة الجديدة المتخلقة من الطبقة الوسطى الناشئةفىهذه الفترة•وهى الصفوة صاحبة المصلحة الحقيقية فى احداث تغيير اجتماعى • ولاشك أن المتعلمين والضباط هم الذين عملوا بمثابة طليعة هذه الصفوة ، التى كانت من الضعف والوهن بحيث لا يمكن أن تطاول صفوة كبار الملاك وصفوة الأجانب اذا ما اتحدت الأخيرتان أو أن تطاول كل منهما على حدة • وبهذا يمكن أن نفترض هنا أن هذه الصفوة الجديدة هى التى حركت الفلاحينضد القصر والسيطرة الأجنبية وليس العمد والمشايخ على ما يذهب البعض • ويبدو أن هذه الفئة هى التى لعبت الدور الحيوى فى توقيع العرائض التى خولت عرابى سلطة التحدث باسم المصريين • فقد أكد على بركات على وجود عناصر نشيطة كانت تنتقل بالمحاضر فى انحاء الريف (٤١) • وأغلب الظن أن حركة هذه الصفوة قد شابتها بعض الشوائب التى ربما ساهمت فى فشل الحركة • ويمكن أن نذكر فى هذا الصدد نقطتين رئيسيتين :

الأولى : أن بعض عناصرها كان انتهازيا فاتخذ نفس الموقف الذى اتخذه كبار الملاك والعمد ، خاصة بعد أن ظهرت فى الافق بوادر فشل الثورة • فكثير من عرائض الاتهام التى كان يكتبها العمد كانت تضم توقيعات موظفين من نفس الدائرة أو فلاحين من نفس الدائرة •

الثانية : أن التأييد لعرابى لم يكن نابعا من أيديولوجية محددة • وأغلب الظن أنه كان نابعا من فورة وطنية مؤقتة • وتكشف تحقيقات الثورة عن فشل هذا التسطيح الأيديولوجى ، وهى سمة تكاد تكون عامة فى الصفوة الريفية • فمعظم المتهمين قد أنكروا التهم المنسوبة

---

(٤١) على بركات ، **مرجع سابق** ، ٢٤١ •

اليهم حتى أولئك الذين ينتمون الى الانتلجنسيا • فعندما سئل أمين بك الشمسى عن استقبال عرابى فى المحطة قال « حشا ذلك » • ثم أوضح كيف انه كان فى المحطة بالصدفة (٤٢) • وفى استجواب احمد المنصورى من علماء الازهر قال « انه كان بينه وبين زمرة العصاة عداوة وبغض » (٤٣) • وفى استجواب احمد فهمى (صيدلى بقنا) قال انه لم يكن « من المساعدين لحزب العرابى العاصى لا قولا ولا فعلا » (٤٤) • واذا دل هذا على شىء فانما يدل على مستوى منخفض من الوعى ، وعلى عدم التحديد الايديولوجى الذى جعل الصفوة الجديدة غير قادرة على الاستمرارية حيث تنتهى بقبول الأمر الواقع •

ثانيا : ثورة ١٩١٩ ومواقف الصفوة

اذا كانت ثورة عرابى قد واكبت صعود فئات متعددة من المصريين الى صفوف الادارة والجيش والقوة الاقتصادية ، فان ثورة ١٩١٩ قد واكبت ازدهار البرجوازية المصرية بجناحيها الزراعى والصناعى ، مع امتداد ونضوج لشريحة الانتلجنسيا التى انشغلت بالمسألة المصرية منذ نهاية القرن التاسع عشر • وهيأت نهاية الحرب العالمية الاولى فرصة لأن تقوم جماعة من الانتلجنسيا شكلوا من انفسهم وفدا نيابة عن الشعب المصرى لعرض قضية مصر على مؤتمر الصلح • واستطاعوا أن يكسبوا عطف الأمة وتأييدها من خلال عرائض يوقع عليها الناس بحيث أصبحوا يظهرون امام الانجليز والقصر بانهم يتحدثون باسم الأمة (٤٥) • ولقد بدأت احداث

---

(٤٢) **وثائق الثورة العرابية** ، ملف ٨٦ محفظة رقم ٩ •
(٤٣) **وثائق الثورة العرابية** ، ملف رقم ٧٠ ، بمحفظة رقم ٩ •
(٤٤) المحفظة السابقة ، ملف رقم ٦١ •
(٤٥) حول تاريخ تشكيل الوفد ، انظر عبد العظيم رمضان ، **تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٩١٨ ـ ١٩٣٦** ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ ، ص ٨٣ وما بعدها •

الثورة عندما تم اعتقال سعد زغلول ورفاقه فى ٨ مارس ١٩١٩ • ولسنا هنا فى معرض التأريخ للثورة • ولكن الذى نود تأكيده هنا أن نقطة البداية فى الثورة قد جاءت من شريحة عليا من الانتلجنسيا بدأت تتحدث باسم الأمة أو نيابة عن الأمة كما حدث فى ثورة عرابى تماما • والحقق أن سعدا وصحبه لم يهدفوا بتكوينهم للوفد الى احداث ثورة فى الداخل أو المطالبة باصلاحات كما كان يهدف عرابى ، وانما كان همهم الأول هو تنظيم عملية الدعاية للقضية المصرية فى الخارج • غير أن تصدى الانجليز والقصر لهم ، فضلا عن الثقة التى اكتسبوها من جراء تدعيم الأمة لهم ، قد جعلهم يتحدثون من موقع أحدث صداما بينهم وبين القصر (٤٦) • وأعطى الانجليز ذريعة للقبض على سعد ورفاقه ونفيهم الى مالطة ، وهى الحادثة التى كانت بمثابة شرارة للثورة التى قامت بها الجماهير العريضة من الشعب ، والتى أوضحت بجلاء موقف جماعات الصفوة المختلفة ، وكشفت عن المصالح الحقيقية لهم فى احداث تغيير فى النسق القائم أو معارضة مثل هذا التغيير • ولن نسهب هنا فى تفصيلات أحداث الثورة ويكفى الاشارة الى أنها اشتملت على الاضرابات ، والتظاهر ، والاعتداء على القوات البريطانية ، ونهب سلاحها ، وقطع طرق المواصلات ، والهجوم على دوائر كبار الملاك ، ومهاجمة مراكز البوليس ، وغير ذلك من الأحداث (٤٧) •

---

(٤٦) بلغ هذا الصدام ذروته عندما طلب سعد مقابلة السلطان وترك فى القصر عريضة أدان فيها السلطان ووصف موقفه بأنه « لا يتفق مع حب الخير للبلاد ، والاعتداد بمشيئة شعبها ، وأنه متابعة للانجليز فى اذلال الشعب ، وايذانا بالرضا بحكم الأجنبى الى الابد » • انظر **المرجع السابق** ، ص ١١٦ •

(٤٧) انظر حول أحداث الثورة : مركز الوثائق والبحوث التاريخية المصرية ، **٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩** ، مؤسسة الاهرام ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، وبه مجموعة وثائق لكبار المسؤلين البريطانيين فى مصر • انظر أيضا : حسن احمد يوسف نصار ، **دور المجتمع الريفى فى ثورة ١٩١٩** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ، ١٩٧٩ ، وعبد العظيم رمضان ، **المرجع السابق** ، ص ١٣٤ ـ ١٤٣ •

والمتأمل لاحداث الثورة يأخذ الانطباع بانها كانت ثورة شعبية شاركت فيها كل قطاعات الشعب • بل ان شهود العيان يؤكدون ذلك على اختلاف تفسيرهم لما يشاهدونه • فقد كتب احمد شفيق مفسرا مشاركة طبقات الأمة فى احداث الثورة بانها رد فعل تجاه المعاملة القاسية للطلبة فى المظاهرات يقول « لكل طبقات الأمة من هؤلاء الطلبة أبناء وأحفاد وأصهار وأقارب فهال الناس ما سمعوا من أنباء الفتك بحشاشات أكبادهم فلم يطيقوا صبرا على قطف زهرة شباب هؤلاء الأبرياء وكانت النتيجة الطبيعية لذلك أن هب الناس مذعورين فى كل مكان يطلبون الثأر فعمت الثورة جميع أنحاء القطر دفعة واحدة » (٤٨) • وكتب سير م • شيتهام الى ايرل كيرزون فى ١٧ مارس عام ١٩١٩ يقول « وأود أن أوضح تماما أن الحركة الحاضرة فى مصر حركة قومية بكل ما فى هذه الكلمة من معنى • ومن الواضح الآن أنها تحظى بعطف جميع الطبقات والعقائد بكل ما فى هذه الكلمة من معنى » (٤٩)•

وبرغم هذا الطابع العام للثورة ، الا أن تحليلا سوسيولوجيا لمواقف الجماعات السياسية منها لابد أن يؤكد على حقيقتين :

الأولى : أن الثورة لم تقم لمجرد المطالبة بالاستقلال ، وانما ارتبطت بالتطورات الاقتصادية الاجتماعية لهذه الفترة ، التى شهدت بداية القوة الحقيقية للبرجوازية المصرية • وكانت محاولة تشكيل الوفد بداية لتأكيد قوة هذه البرجوازية فى المجال السياسى • وهى قوة بدأت قبل ذلك بمحاولة السيطرة على الاحزاب • وبعد ذلك فى السيطرة على المؤسسات التشريعية • ولا شك أن هذا قد ارتبط بالنشاط الصناعى والتجارى لهذه البرجوازية والذى أفضنا فى

---

(٤٨) احمد شفيق ، **مرجع سابق** ، ص ٣٥٣ •

(٤٩) انظر كتاب ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ السابق الاشارة اليه ، ص ٣٣٤•

شرحه فى مكان سابق من هذه الدراسة (٥٠) ٠

الثانية : أن الاحداث العنيفة التى تلت اعتقال سعد ورفاقه والتى أضفت على العملية كلها طابع الثورة قد كشفت بجلاء عن مواقف الجماعات الاجتماعية المختلفة ٠ وكشفت هذه المواقف عن حقيقة جوهرية مفادها أن تحليل هذه الاحداث يجب أن ينفصل عن تحليل حركة تكوين الوفد التى لم تكن تستهدف على الاطلاق القيام بثورة على النحو الذى حدث ٠

وفى ضوء هذا فان التحليل سوف يتجه الآن نحو الكشف عن هذه المواقف بالتحديد بحيث يظهر لنا مثل هذا التحليل أشكالا من التحالف والصراع بين جماعات الصفوة من ناحية وبينها وبين السلطة المركزية من ناحية أخرى ٠ وينصب التحليل هنا حول مواقف كبار الملاك ، والصفوة التابعة لهم من العمد والمشايخ ، والصفوة الجديدة من مثقفى الطبقة الوسطى ومن الفلاحين المستنيرين ٠

ضم الوفد بين أعضائه بعض كبار الملاك من أمثال حمد الباسل وعلى شعراوى وغيرهم ٠ ويدل ذلك على أن صفوة كبار الملاك كانت متحمسة فى البداية لتشكيل الوفد لتقود به حركة وطنية ضد الاحتلال الانجليزى ، تجنى من ورائها مزيدا من القوة والنفوذ السياسيين ٠ ويثور هنا سؤال على جانب من الاهمية : كيف يتحمس كبار الملاك للمشاركة فى هذه الحركة فى الوقت الذى يتوقع فيه أن يتعاونوا مع الانجليز والقصر طالما أن وجودهما يخدم مصالحهم كطبقة رأسمالية تابعة ؟ يذهب المؤرخون الى القول بأن هناك

---

(٥٠) حول الارتباط بين ثورة ١٩١٩ وبين هذه التطورات الاقتصادية انظر :

Robert L. Tignor, «The Egyptian Revolution of 1919 : New Directions of the Egyptian Economy», M.E.J., Vol. 12, No. 3 1976, pp. 41-67.

ظروفا موضوعية دفعتهم الى ذلك أهمها محاولتهم تكوين جبهة من المهنيين ورجال الأعمال لكسر الحاجز الاجتماعي الذى تقف خلفه الارستقراطية التركية. فضلا عما حدث من تهديد لمصالحهم الاقتصادية من جراء تحديد الحكومة لمساحة القطن بثلث الزمام المزروع أثناء الحرب ، وهبوط أسعاره فى هذه الاثناء ، ووضع قيود أمام تصدير القطن لبلاد معينة ، وقيام الحكومة البريطانية بشرائه عام ١٩١٧ ـ وبعد أن ارتفعت أسعاره ـ بسعر أقل والغاء رخص التصدير ، وجمع الانفار للخدمة العسكرية ، الأمر الذى أدى الى ارتفاع أجور العمال فى الوقت الذى يحاول فيه كبار الملاك حل مشكلة الديون العقارية ، هذا بجانب تلكؤ الانجليز فى ادخال اصلاح دستورى فى البلاد (٥١) . والحقيقة أن هذه الظروف كانت كافية لتخلق بين صفوف كبار الملاك ـ الذين يودون الانطلاق نحو مزيد من القوة الاقتصادية ـ تذمرا يدفعهم نحو تنظيم انفسهم ـ من خلال صفوفهم ـ فى جبهة تطالب بالاستقلال . غير أن ذلك يجب أن يفسر أيضا فى ضوء استقرار طبقة البرجوازية ، ومحاولتها تغليف قوتها الاقتصادية بقوة سياسية ، خاصة وأن المؤسسات التشريعية التى شاركت هذه الطبقة فيها قبل الاحتلال ، وفى وقت كانت هذه الطبقة فيه فى مرحلة التخلق ، كانت قد اختفت فى عهد الاحتلال ، وفى الوقت الذى أصبحت فيه هذه الطبقة وجودا حقيقيا .

على أن ذلك لا يجب أن يغرينا بالقول بأن كبار الملاك قد ساندوا بالفعل ثورة ١٩١٩ . فقد أشرنا من قبل الى ضرورة التفرقة بين انشاء الوفد وبين أحداث الثورة . فلقد كان اتجاه كبار الملاك اتجاها اصلاحيا . وكان انشاء الوفد وسيلة للعمل السياسى الاصلاحى . حقيقة أن تكوين الوفد قد أظهر قدرا من الحس الوطنى لدى صفوة كبار الملاك ، غير أنها

---

(٥١) عاصم الدسوقى ، ص ص ٢٥٤ ـ ٢٥٩ . وعبد العظيم رمضان ، ١٩٦٨، ص ص ٦٩ ـ ٧٠ .

لم تكن بحال من الأحوال تود أن تصل الأحداث الى درجة وصفها بأنها ثورة • وخير دليل على ذلك أن جماعة الوفد قد ذكرت فى التوكيل الذى فوضها المطالبة بالاستقلال أنهم سوف « يسعون **بالطريق السلمية** (التأكيد غير موجود بالأصل) والمشروعة حيثما وجدوا الى ذلك سبيلا فى استقلال مصر » (٥٢) • لذلك فعندما قامت الثورة بالفعل على اثر اعتقال سعد ورفاقه تخلت صفوة كبار الملاك عن الثورة ، واتخذت من الاحداث أما موقف المتفرج أو موقف المستنكر (٥٣) •

وتوكد البيانات التاريخية هذا الموقف • فقد ألقى لورد كيرزون خطابا فى مجلس اللوردات ذكر فيه أن الانباء الواردة من مصر تؤكد أن عقلاء الأمة لم يشتركوا فى الثورة وأن الأعيان يبذلون قصارى جهدهم لتهدئة الاضطرابات (٥٤) • وفى ٢٧ مارس ١٩١٩ أصدر الوزراء والعلماء والاعيان ـ بايعاز من السلطة البريطانية ـ نداء يدعون فيه الناس الى التزام جانب السكينة والكف عن الاضطرابات (٥٥) • كما كتب سير • شيتهام الى كيرزون فى ١٧ مارس ١٩١٩ يقول بأن عدلى باشا قد قابله وأوضح له « أن هناك كثيرا من المصريين المعتدلين يأسفون للحوادث التى وقعت فى الأيام القليلة الماضية » (٥٦) • ولقد كان الانجليز يدركون تمام الادراك أن كبار

---

(٥٢) نقلا عن عاصم الدسوقى ، مرجع سابق ، ص ٢٦٢ ،

(٥٣) وان كان بعضهم ساهم فى احداث الثورة ، خاصة فى عملية جمع التبرعات، أو الدعوة الى المظاهرات فى حالات قليلة جدا • انظر : حسن احمد يوسف نصار ، مرجع سابق ، ص ٢٢٤ وما بعدها •

(٥٤) انظر كتاب ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ٢٠١ •

(٥٥) **المرجع السابق** ، ص ٢٠٣ •

(٥٦) **المرجع السابق** ، ص ٢٣٥• والحق أن رأيا كهذا يعكس بحق وجهة نظر كبار الملاك والطبقة البرجوازية بعامة • فقد ازعجتهم أحداث الثورة • واعتبروا هذه الاحداث اخلالا بسعيهم السلمى نحو تحقيق هدف الاستقلال • ولهذا فقد عملوا أقصى ما فى وسعهم للسيطرة على الموقف الى درجة أنهم شكلوا من أنفسهم لجانا تسمى « لجان تهدئة =

سعد وملنر (ظهرت فيه خلافات عديدة) بدأ عدلى باشا ـ الذى كان يتزعم جماعة المعتدلين وحاول أن يقنع الوفد بأن يشكل هو وفدا رسميا وأن يقوم بالتفاوض ، وهى فكرة لاقت قبول معظم أعضاء الوفد ، ورفضها سعد رفضا قاطعا • وأحدث بذلك شقاقا فى صفوف الوفد ، حيث بدأ المعتدلون يعملون بصفة مستقلة عنه • واتخذ منهم سعد موقفا متشددا خاصة بعد عودته الى مصر ، وما لاقاه من استقبال شعبى كبير أحس منه أن الأمة قد جددت له البيعة • وقد تسبب هذا فى ازدياد الشقاق بين سعد وجماعة المعتدلين ، وهو شقاق انتهى بخلاف تام تكون على اثره الوفد الرسمى برئاسة عدلى باشا يكن (٦٠)• ولا يهمنا سرد هذه الأحداث التاريخية فى ذاتها ، وانما نود ان نتخذ منها دليلا على مدى تأثير صفوة كبار الملاك فى احداث انشقاق بين طليعة الصفوة الوطنية لصالح الانجليز والقصر •

ومن الأمور التى تعطينا دليلا قويا على ذلك أن صفوة كبار الملاك قد ارتاحوا لما تطورت اليه الأمور من تولى عدلى رئاسة الوفد الرسمى ورئاسة الوزارة•فقد طفقوا يرسلون البرقيات تشجيعا لعدلى ووزارته فى الوقت الذى أصبح الشقاق بين عدلى وسعد كبيرا • ففى برقية بتاريخ ٢٦ مايو ١٩٢١ موقعة من عدد كبير من الافراد معظمهم من كبار الملاك والأعيان والمزارعين والتجار جاء ما يلى : « اطمأنت النفوس ببيان الوزارة العدلية المملوء وطنية عالية واخلاصا صحيحا ، فانه قد حقق آمال الأمة •• وأن الموقعين على هذا ليزون من واجبهم الوطنى ان يرفعوا لعظمة السلطان واجب الشكر •• ويعلنوا استنكارهم للمظاهرات التى لا نتيجة لها الا الاخلال بالأمن وتكدير السلم العام ويدعون اهل البلد الى التزام السكينة والتمسك بأهداب الهدوء خدمة

= منفاه ، وبين عدلى وسعد ايضا بشأن التفاوض مع لجنة ملنر • ولقد انتهت المساعى الى أن وافقت اللجنة على أن تتفاوض مع الوفد وحده • وفعلا بدأت هذه المفاوضات ابتداء من ٩ يونية عام ١٩٢٠ • انظر عبد العظيم رمضان ، ١٩٦٨ ، **مرجع سابق** ، الفصل الثالث والرابع •

(٦٠) انظر حول هذه التطورات عبد العظيم رمضان ، ١٩٦٨ ، الفصل الرابع•

القضية المقدسة أيدكم الله بروح من عنـدة ووفقنـا جميعـا الى ما فيـه الخير » (٦١) ٠

ولم يكتف الاعيان وكبار الملاك بالتلغرافات بل قدموا من كل حدب وصوب فى وفرد شكلوها فى محافظاتهم لتقديم التأييد الى وزارة عدلى والى وفده الرسمى ٠ وكان كل وفد يتكون من نواب وعمد وأعيان وأعضاء مجالس محلية ورجال قضاء ومحامين ٠ وقد قدمت معظم هذه الوفود فى أوقات متفرقة من شهر يونية ١٩٢١ ٠ وكان أقل الوفود عددا هو وفد السويس (الـذى تكون من عشرة افراد) ووفد القنال (سبعة عشر عضوا) ووفد أسوان (تسعة عشر عضوا) ٠ وكان بعض الوفود يضم أكثر من مائة عضو كوفد قنا (الذى تكون من مائة عضو) ، ووفد الدقهلية (مائتين واربعين عضـوا) ، ووفـد المنوفية (أربعمائة عضو) (٦٢) ٠

وتشير كل هذه البيانات الى الموقف الحقيقى لصفوة كبار الملاك من ثورة ١٩١٩ ، فمشاركتهم فى تشـكيل الوفـد لم تكن تستـهدف اكثر من استخدام أسلوب الكفاح السلمى الذى لا يأملون من ورائه الا مزيدا من القوة السياسية دون أن تتزعزع مكانتهم الاقتصادية ٠ ولكن بعـد أن أشـارت الأحداث الى امكانية تهديد هذه المكانة ، بدأ كبار الملاك فى محاربة الثـورة ٠ ولقد أدى تعاونهم مع الانجليز الى هذا الانقسام الذى حدث فى صفوف الوفد٠ وهنا بدأت صفوة كبار الملاك فى تأييدها المؤكد للجناح المنشق عن الوفـد وللعناصر المتعاونة مع القصر والانجليز مثل عدلى يكن باشا ٠

---

(٦١) محافظ مجلس الوزراء ، محفظة ١٣ (الوفد المصرى) ٠ دار الوثائق ٠ ولا يمثل هذا التلغراف الا نموذجا واحدا من تلغرافات عديدة أرسلت بهذا الشأن ٠

(٦٢) انظر مذكرات بشأن هذه الوفود فى محفوظات مجلس الوزراء ، محفظة رقم ١٣ ، دار الوثائق ، القلعة ٠

واذا كان هذا هو موقف صفوة كبار الملاك ، فماذا عن صفوة العمد والمشايخ وموظفى القرية من الصيارفة وغيرهم ؟ المحقق ـ وكما كشفنا عن ذلك من قبل ـ أن صفوة العمد والمشايخ قد تحولت الى صفوة تابعة لكبار الملاك فى النصف الأول من القرن العشرين • وفى ضوء هذه الحقيقة فانه يكون من السهل علينا التعرف على دورهم وموقفهم • فمن المتوقع أن يتشابه هذا الموقف مع ذلك الخاص بكبار الملاك • ولكن الأمر قد لا يبدو على هذه الدرجة من السهولة ، خاصة عندما نجد بعض الكتاب يشيد بالحس الوطنى لهذه الفئة ، وذلك لالتزامها « بالخط الوطنى الذى التزمت به جميع الطبقات من ثورة ١٩١٩ الأمر الذى يشير الى « مدى الضريبة التى دفعها هؤلاء العمد فى أثناء نضالهم من الاستقلال والديموقراطية » (٦٣) • والحقيقة ان الانسياق وراء مثل هذا القول يشبه القول بأن ثورة ١٩١٩ كانت ثورة شاركت فيها كل الطبقات دون الركون الى تحليل يوضح المواقف الحقيقية لهذه الطبقات •

لا يستطيع أحد أن ينكر أن بعض العمد قد ساهم بالفعل فى أحداث ثورة ١٩١٩ ، مثلما ساهم بعض كبار الملاك • وتمثلت تلك المساهمة فى الاستقالة ، أو فتح المنازل مأوى للمتظاهرين ، أو المشاركة فى المظاهرات وتياحتها ، أو المشاركة فى أعمال العنف والاعتداء على الجنود الانجليز (٦٤) • غير أن مشاركة العمد والمشايخ ـ وعددهم قليل على ما يبدو ـ يمكن أن يفسر فى ضوء بعض الحقائق : (٦٥)

١ ـ أن هؤلاء كانوا يعيشون وسط الفلاحين ، ولقد دفعتهم الظروف ـ كما

---

(٦٣) عبد العظيم رمضان ، ١٩٧٨ ، **مرجع سابق** ، ص ١٧٠ •

(٦٤) انظر حسن احمد يوسف نصار ، **مرجع سابق** ، ص ٢٢٤ وما بعدها • وانظر أيضا : كتاب ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، خاصة صفحتى ٢٠٢ ، ٢٩٢ •

(٦٥) لا يعنى ذلك بطبيعة الحال أن الذين اشتركوا فى احداث الثورة من العمد والمشايخ لم يكن بينهم من كان ذا حس وطنى •

دفعت الفلاحين ـ الى حركة عامة • ويبدو أن العمد الذين اشتركوا فى الثورة قد أساءوا فهم الأسلوب السلمى الذى توخته الصفوة القريبة من مصدر القرار السياسى ، أعنى صفوة كبار الملاك • وما يترتب على ذلك•

٣ ـ ضعف الاتصال بين كبار الملاك فى المدن ، أو العاصمة وتابعيهم فى الريف من العمد والمشايخ وبطء هذا الاتصال •

٣ ـ أن العمد والمشايخ الذين اشتركوا فى الاحداث كانوا مدفوعين لتحقيق مصالح اقتصادية ترتبط بتحسين أوضاعهم الاقتصادية التى بدأت تتدهور منذ ذلك الوقت •

وتشير البيانات التاريخية الى أن دور العمد والمشايخ فى تهدئة الثورة قد فاق بكثير دورهم فى احداثها أو المشاركة فيها • ولقد أمكن باستخدام المادة التاريخية العثور على مواضع الالتقاء المصلحى بين جماعة العمد والمشايخ وبين كبار الملاك من ناحية ، وبينهم وبين الانجليز من ناحية أخرى • وفى هذه الظروف فاننا لا نتوقع أن يتخذ العمد والمشايخ موقفا مغايرا تمام المغايرة لموقف كبار الملاك والانجليز » • ففى ضوء هذا الالتقاء لعب العمد والمشايخ دورا بارزا فى تهدئة أحداث الثورة ، وفى تشجيع ومناصرة كبار الملاك على سياستهم المنشقة على الوفد •

فمن ناحية ، كان الانجليز يدركون أن العمد والمشايخ يمثلون ركيزة لهم فى الريف • ففى بداية الاحتلال ذهب لورد كرومر فى تحليله لشعور العمد والمشايخ الى أنهم كانوا يرغبون فى حماية الانجليز لهم من طغيان الباشوات والاتراك ، الى جانب أنهم كانوا يفضلون الحصول على مياه الرى على يد المهندس الانجليزى ، هذا بالرغم من مقتهم للانجليز الذين حاولوا أن يحدوا من طغيانهم على الفلاحين • وبمرور الوقت أصبحوا « يقدرون ميزة الاولى عن

الثانية » (٦٦) • وبصرف النظر عن مدى صدق هذا التحليل ، فان الذى جعل كرومر يشعر بأنهم يفضلون الانجليز بالرغم من احساسهم بأنهم حدوا من سيطرتهم يشير ـ ضمنيا على الاقل ـ الى أنه كان يشعر بهذا التفضيل من جانب العمد أثناء وجوده فى مصر • وبصرف النظر عن صدق هذا التحليل أيضا ، فان كرومر اعتمد على العمد ـ مثل اعتماده على كبار الملاك ـ فى تعضيد موقفه فى مصر • وفى هذه الظروف فانه من المتوقع أن يلجأ الانجليز الى العمد والمشايخ ـ مثلما لجأوا الى كبار الملاك ـ فى السيطرة على الموقف أثناء أحداث ثورة ١٩١٩ • وهذا هو ما حدث بالضبط •

فقد بدأ المستشارون يشعرون بامكانية الركون الى العمد والمشايخ فى تهدئة الأحداث ، خاصة وأنهم شعروا بأن العمد والمشايخ يستاءون من الأحداث التى تقع • ففى تلغراف ـ من اللنبى الى ايرل كيرزون ـ مؤرخ فى ٥ مايو ١٩١٩ « أن هناك استياء متزايدا بين المزارعين على اختلاف طبقاتهم ضد طبقة الافندية فى المدن ، ولا سيما بأنهم دفعوهم الى الهجوم على وسائل المواصلات التى نجم عنها الكثير مما ألحق الضرر بهم » (٦٧) • وهذا الشعور هو الذى دفع المستشارين الانجليز الى الاستعانة بالعمد والمشايخ فى تهدئة الثورة • وتجلى ذلك فى أمور عديدة منها على سبيل المثال الأمر الذى أصدرته السلطة العسكرية فى ٢٠ مارس ١٩١٩ والذى تنص مادته الثانية على أن « عمد ومشايخ البلاد والعزب والخفراء مسئولون شخصيا عن كل مخالفة تحدث للاوامر فى دائرة اختصاصهم وعليهم أن يبلغوا عن الاشخاص الذين يقع منهم أى ضرر أو اعتداء • ومنها أيضا الاعتماد عليهم بشكل مباشر فى تشكيل « لجان تهدئة الخواطر » فى الاقاليم والتى لعبت دورا كبيرا فى أحداث الثورة (٦٨) •

---

(٦٦) عبد العظيم رمضان ، ١٩٧٨ ، ص ١٦٨ •

(٦٧) انظر : ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ٣٥٣ •

(٦٨) انظر حول لجان تهدئة الخواطر • عاصم الدسوقى ، **مرجع سابق** ، ص ٢٦٤ •

ومن الناحية الأخرى ، فقد أبدى الكثيرون من العمد استعدادهم للمساعدة فى انجاح مهمة لجنة ملنر التى قاطعها كل الوطنيين • بل انهم أرسلوا مندوبين عنهم لمقابلة بعثة ملنر ، كما حدث بالنسبة لعمد ومشايخ بعض نواحى مركز الفشن (بنى سويف) ومطاى (المنيا) الذين أرسلوا مندوبين عنهم الى اللجنة بتقارير يطالبون فيها « وضع الحماية الانجليزية على مصر لانها بلادنا ومن مصلحتنا أن نكون تابعين للحكومة الانجليزية ونطلب من جنابكم الاستقلال الذاتى تحت العدل البريطانى كباقى المستعمرات التابعة لدولة بريطانيا العظمى » (٦٩) ويكشف هذا عن ميل العمد والمشايخ الى التخلى عن الثورة والاندفاع نحو موقف كبار الملاك فى اتخاذ موقف معتدل تجاه الازمة يحبذ التفاوض من أجل استقلال محدود • ولهذا فانه عندما حدث انشقاق داخل الوفد المصرى برئاسة سعد وتشكل الوفد الرسمى برياسة عدلى • وتواقد كبار الملاك لتأييده فى وفود من المحافظات كان العمد والمشايخ هم العمود الفقرى لهذه الوفود •

وبذلك تحول العمد والمشايخ الى أداة فى أيدى كبار الملاك لتنفيذ خطتهم فى محاربة الثورة ، فهم أعضاء فى لجان تهدئة الخواطر ، وهم أعضاء فى وفود لتأييد عدلى ، وهم علاوة على هذا رصيد من التوقيعات على العرائض والتلغرافات التى تؤيد الاعتدال وترفض الثورة • وان دل هذا على شىء فانما يدل على تبعية موقف العمد والمشايخ لموقف كبار الملاك وهى تبعية نابعة من تبعيتهم كصفوة فى هذه الفترة من تاريخ مصر •

اذا كانت صفوة كبار الملاك وصفوة العمد والمشايخ قد حاربتا الثورة فمن الذى وقف بجانبها اذن ؟ أو بالاحرى من الذى قام بها اذن ؟ وهذه هى الصياغة الافضل للسؤال طالما أن تشكيل الوفد نفسه لم يكن حركة ثورية بقدر ما كان حركة اصلاحية • ووضع السؤال بهذه الطريقة يمكننا من

---

(٦٩) **المرجع السابق** ، ص ٢٧٣ •

الكشف عن جوهر الصراع بين الصفوة القديمة من كبار الملاك وصفوتهم النابعة من العمد والمشايخ من ناحية وبين الصفوة الجديدة المنبثقة من الطبقة الوسطى الناشئة ومن الطبقات التى تقع أسفل منها فى سلم التدرج الطبقى من ناحية أخرى • فالذين قاموا بالثورة وشاركوا فيها مشاركة فعلية هم أشخاص ينتمون الى فئات خارج البرجوازية وتوابعها • ولا شك أن أهدافهم من المشاركة فى الثورة لم تتجه فقط نحو التخلص من الانجليز وتحقيق الاستقلال وانما اتجهت أيضا نحو التخلص من جماعة كبار الملاك • فلم يتجه الفلاحون أثناء أحداث الثورة نحو الهجوم على قوات الانجليز أو قطع طرق المواصلات أو التظاهر فقط وانما اتجهوا أيضا نحو مهاجمة مزارع كبار الملاك ونهبها (٧٠) • وهذا الأمر الأخير هو الذى فتح أعين كبار الملاك على الخطر الحقيقى وراء أحداث الثورة • ولم تكن حركة الفلاحين فقط هى التى جعلتهم يشعرون بهذا الشعور ، بل تآزر الموظفون مع فئات الشعب الأخرى عن طريق الاضراب خاصة • فقد شمل الاضراب كل فئات الموظفين حتى موظفى وزارة الداخلية • وتزعم بعض ضباط الشرطة المظاهرات (كما حدث فى فارسكور حيث تزعم احمد افندى حمدى مأمور فارسكور المظاهرة) • ولم يقتصر اضراب الموظفين على فترة العنف فى مارس ١٩١٩ ، وانما استمرت بعد قمع الثورة الى درجة وصلت فيها الى قوة مؤثرة أسقطت لأول مرة الحكومة تحت الاحتلال الانجليزى ، وهى أول مرة تسقط فيها الحكومة تحت تأثير شعب (٧١) • وليس هناك من شك فى أن الذى نظم لهذه الاضرابات والمظاهرات والاعتداء على مزارع كبار الملاك هم الصفوة الجديدة التى أفرزتها هذه الفترة ، التى لم تجد أى وسيلة للتعبير عن نفسها لا من خلال الأحزاب ولا من خلال أية قناة أخرى •

---

(٧٠) انظر كتاب ٥٠ عاما وعلى ثورة ١٩ ، ص ٢٥٥ ، وحسن احمد يوسف، **مرجع سابق** ، مواضع متفرقة •

(٧١) انظر حول مشاركة الموظفين : عبد العظيم رمضان ، ١٩٦٨ ، **مرجع سابق** ، ص ١٥٣ ، حسن احمد يوسف ، **مرجع سابق** ، مواضع متفرقة ، ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ٣٤٠ ـ

ونورد فيما يلى عينة من المحاكمين فى ثورة ١٩١٩ موزعين حسب المهنة أو النشاط الاقتصادى والمحافظات ، وهو توزيع يكشف لنا عن وزن الفلاحين وصغار الموظفين والمهنيين فى أحداث ثورة ١٩١٩ .

عينة من المحاكمين فى ثورة ١٩١٩ موزعين حسب المهنة والمحافظة

المهنة	المحافظة						المجموع	النسبة المئوية
	الغربية	الفيوم	بنى سويف	المنيا	أسيوط			٪
مزارع/فلاح	٣	١٨	١٣	٢٤	٢		٦٠	٢٩
طالب	٣	—	—	٥	—		٨	٣ر٨
موظف	—	—	—	٢	—		٢	١
حرفى	١٣	—	١	١	٢		١٧	٨ر٢
ضابط بوليس	—	٦	—	٣	—		٩	٤ر٣
تاجر	٦	—	١	٢	١		١٠	٠
خادم	٣	—	—	—	—		٣	١ر٤
عامل	٢	—	٣	١٢	١٨		٣٥	١٦ر٩
محامى/طبيب	١	٢	١	—	—		٤	١ر٩
اهالى/غير مبين	٩	—	٢	٤٤	٢		٥٧	٢٧ر٥
شرطى/صف ضابط	—	١	١	—	—		٢	١
المجموع	٤٠	٢٧	٢٢	٩٣	٢٥		٢٠٧	١٠٠

المصدر : كونت هذه العينة وتم تفريغها من مجموعة أسماء أوردها حسن احمد يوسف نصار ، مرجع سابق .

وتكشف بيانات الجدول السابق بجلاء عن أن أكبر نسبة من المحاكمين كانت من الفلاحين حيث جاء عددهم ٦٠ فردا بنسبة ٢٩٪ من المجموع الكلى. ويليهم العمال أو من فى حكمهم (الخدم وجنود الشرطة) حيث بلغ عددهم بنسبة ٤ر١٠٪ من المجموع الكلى . ولذا أضفنا الى هؤلاء الحرفيين (وعددهم حكمهم (الطلبة والضباط والمحامون والأطباء) حيث بلغ عددهم ٢٣ فردا بنسبة ٤ر١٠ ٪ من المجموع الكلى . واذا أضفنا الى هؤلاء الحرفيين (وعددهم ١٧ فردا) لبلغت النسبة ٦ر١٨٪ (٧٢) . ومن الامور اللافتة للنظر أنه لا يوجد أى من كبار الملاك والذين كانوا يصنفون فى هذه الفترة بأنهم « أعيان »

ولا شك أن وجود أعداد كبيرة من الفلاحين والموظفين والعمال فى ثورة ١٩١٩ وأحداثها يكشف عن موقف صراع مع الصفوة المسيطرة من كبار الملاك الذين كانوا يحاولون ـ من فئات أخرى ـ تهدئة الثورة وكبحها عندما لاحظوا أنها تنقلب ضد مصالحهم . واذا كان بعض كبار الملاك قد ساهم فى أحداث الثورة فى البداية ، فان عدم وجودهم فى المحاكمة (أو وجود القليل منهم اذا كانت هذه عينة وليست شاملة لكل المحاكمين فى الثورة) يدل على أنهم لم يواصلوا المسيرة حتى النهاية ، بل وقفوا فى وجه أحداث الثورة : فى صراع مع الجماعة التى تحركها من الصفوة الجديدة .

غير أن هذا الصراع لم ينته الى احداث أى تغيير حقيقى فى المجتمع . بل أن ما ترتب على الثورة من نتائج لم يعد على الفلاحين بالكثير . واذا اعتبرنا أن استقلال عام ١٩٢٣ والدستور الذى صدر بعد ذلك مباشرة هما المكسبان الرئيسيان للثورة ، فاننا لاحظنا فى الفصل السابق كيف فتح هذا الدستور الطريق أمام كبار الملاك للسيطرة على المجالس التشريعية والتنفيذية. الأمر الذى منحهم قوة مطلقة فى تسيير أمور البلاد . وهذه القوة هى التى

---

(٧٢) ويمكن أن يضاف الى هؤلاء أعداد من الاهالى أو غير المبين مهنتهم، الذين أما عاطلين أو فلاحين .

كانوا يحلمون بها عندما ساهموا فى تشكيل الوفد على ما يبدو • وربما كان خير دليل على ذلك ان السيطرة التى تحققت لصفوة كبار الملاك فيما بعد دستور ١٩٢٣ قد ساعدتهم على أن يعملوا لتحقيق مصالح طبقتهم وابعاد مصالح الطبقات الأخرى • فقد وقفوا فى وجه أى قانون يبيح قدرا من التغير فى البناء القائم ، رغم نضال عناصر من الصفوة الجديدة لتحقيق مثل هذا التغير • ونعرض فى الفقرة القادمة موقف صفوة كبار الملاك من قانون الاصلاح الزراعى لتتضح فى أذهاننا هذه الصورة بجلاء •

ثالثا : الاصلاح الزراعى ومواقف الصفوة

ليست مسألة الاصلاح الزراعى كمسألة الثورة العرابية أو الثورة الوفدية • فان لها طابعا مختلفا عن هاتين المسألتين : فأولا : لم تتخذ المواقف بشأنها طابعا عاما يمكن تتبعه حتى المستوى المحلى • فلسنا نعرف بالتحديد هل كانت هذه المسألة تناقش فى الريف فى فترة ما قبل ١٩٥٢ أم لا • وثانيا: فان هذه المسألة قد طرحت أصلا على مستوى قومى وبين فئات من المثقفين ثم نوقشت فى مجلس الشيوخ • وتأتى أهمية معرفة مواقف الصفوة من هذه المسألة خاصة صفوة كبار الملاك من عدة اعتبارات :

الأول : أن مسألة الاصلاح الزراعى بالرغم من أنها أثيرت على مستوى قومى دون المستوى المحلى ، الا أنها تتصل بشكل أو بآخر بعلاقات القوة والتركيب الاجتماعى للريف •

الثانى : أننا نفترض أن الذى طرح هذه المسألة فى النطاق السياسى هم أفراد من الصفوة الجديدة • واذا كان هذا الطرح قد تم على مستوى قومى ، فلا شك فى أن الصفوة التى طرحته كان لها عمق محلى •

الثالث : أن الذى منع صدور قانون بشأن هذه المسألة هم صفوة كبار الملاك• ولذلك فان الكشف عن موقفهم يكشف عن موقف الصراع بينهم وبين الصفوة الجديدة •

الرابـــع : أن الذى أصدر قانونا فى الاصلاح الزراعى هم طليعـــة الصـــفوة الجديدة الصاعدة التى أمسكت بزمام القوة على النطاق القومى بعد عام ١٩٥٢ ٠

ومن هنا فان القاء الضوء على مواقف الصفوة من مسألة الاصلاح الزراعى سوف يمكننا من رؤية شكل من أشكال الصراع بين جماعات الصفوة تنتصر فيه الصفوة القديمة عندما تكون فى موقف قوة الى الحد الذى تنجح فيـــه نجاحا كاملا فى تحويل مسألة الاصلاح الزراعى الى الاقرار nondecision ثم تنتصر فيه الصفوة الجديدة فى وقت لاحق عندما تمسك بزمام القوة وتنجح فى أن تفرض هذا القرار فرضا وتكسبه شرعية بسلطة القانون ٠

والسؤال الذى يرد الى الذهن مباشرة ونحن بصدد مسألة الاصلاح الزراعى : لماذا ظهرت مسألة الاصلاح الزراعى فى نطاق المناقشة السياسية ، ومن الذى أثارها بالضبط ، وما مصالحهم فى ذلك بالتحديد ؟ لا شك أن شقى السؤال يرتبطان ببعضهما ارتباطا وثيقا ٠ فاثارة المسألة يتعلق بمصالح الجماعات التى أثارتها ٠ وتشير البيانات التاريخية الى أن مسألة الاصلاح الزراعى قد أثيرت من جانب فئات مـــن مثقفى البرجوازيـــة ومن المثقفين الثوريين ٠ غير أن الهدف من اثارة المسألة يختلف من فئة الى أخرى ليس فى ذلك جدال ٠ فقد أثار مثقفو البرجوازية هذه المسألة لاحساسهم بأن مصالحهم ومصالح طبقتهم يمكن أن تهدد اذا ما استمرت عملية تركيز ملكية الأرض الزراعية فى أيدى قلة قليلة من الملاك دون خلق طبقة من صغار الزراع ٠ وقد دفعهم هذا الاحساس الى تقديم أفكار اصلاحية بشأن توزيع الأرض يمكن أن تقلل من حدة الصراع الطبقى ، وتجعل حل المسألة الاجتماعية بطريق العنف أمرا غير محتمل (٧٢) (لا شك فى أنهم كانـــوا يستشعرون

---

(٧٣) وقد تجلى ذلك فى خطاب على الشمسى باشا فى مجلس النواب عـــام ١٩٣٩ ، حيث نادى بتشجيع الملكيات الصغيرة حتى لا نلجأ يوما الى =

امكانية قيام مثل هذا العمل) • وفى مقابل ذلك اثار المثقفون الثوريون مسألة الاصلاح الزراعى لاحساسهم الوطنى تجاه الفئات العريضة من الفلاحين المحرومين من ملكية وسائل الانتاج ـ متمثلة فى الأرض ـ وضرورة نقل جزء من هذه الملكية الى الفلاحين •

وانعكس هدف كل فئة من هذه الفئات على تصوره لعملية الاصلاح •. فقد ظهرت جماعة من البرجوازية تنادى بضرورة الاصلاح الزراعى الذى يرجع أول حديث فيه الى وزارة سعد زغلول عام ١٩٢٤ حيث قرر مجلس النواب بيع أكبر جزء من أراضى الحكومة الى صغار الفلاحين • وبعد ذلك بدا المفكرون الاصلاحيون من البرجوازية يصدرون كتبا ومقالات تنادى بضرورة خلق فئة من صغار الفلاحين دون المساس بالملكيات الكبيرة • وتصوروا أن ذلك يمكن أن يتم عن طريق استصلاح الأرض وتوزيعها كما اقترح الوفد عام ١٩٣٥ ، أو توزيع الأراضى البور كما اقترح محمود كامل المحامى عام ١٩٣٩ ، أو تنزع ملكية الأراضى الاقل من فدان وتضم اليها الأراضى المستصلحة والبور وأراضى الوقف ثم توزع على الفلاحين من جديد كما ذهب جلال فهيم عام ١٩٤٣ ، أو اعادة توزيع أراضى الحكومة على الفلاحين بحد أقصى ثلاثة أفدنة مع اعادة النظر فى الشركات العقارية واعادة تنظيمها بحيث تستصلح الأرض من خلال ايجار اسمى لمدة معينة تعود بعدها الى الحكومة لتضم الى الأراضى الموزعة على أن يصاحب ذلك الغاء الوقف الاهلى كما ذهب مريت غالى عام ١٩٤٥ ، وذهب بعض هؤلاء الاصلاحيين الى موقف أكثر تشددا مثل الدعوة الى تحديد حد أقصى للملكية كما تجلى ذلك فى مشروع محدد خطاب عام ١٩٤٤ (حدد الحد الاقصى بخمسين فدانا) ، أو فرض

= نزع ملكية الاراضى الكبيرة لتقسيمها بين صغار الملاك كما حدث فى رومانيا بعد الحرب السابقة • وفى المجر منذ شهرين وما تعمله الآن ايطاليا فى جزيرة صقلية علاجا لحالة اجتماعية تشبه حالتنا من بعض الوجوه • نقلا عن عبد العظيم رمضان ، ١٩٧٨ ، ص ٢٠٤ •

ضرائب تصاعدية كما ذهب مصطفى نصرت عام ١٩٤٥ (٧٤) • ويتضح من صياغة البرجوازية الاصلاحية لمشروعات الاصلاح الزراعى أنها لم تكن تدعو الى الحد من الملكيات الكبيرة فيما عدا مشروع محمد خطاب الذى ووجه بمعارضة شديدة على ما سنشير فيما بعد • بل انها استهدفت ـ على العكس من ذلك ـ خلق طبقة من صغار الفلاحين الذين يقنعون بملكياتهم الصغيرة دون النظر للملكيات الكبيرة أو قيامهم فى وجهها •

واذا كان معظم الاصلاحيين من المنتمين الى البرجوازية قد فصلوا بين مشكلة تركيز الملكيات الكبيرة ومشكلة تفتت الأرض الزراعية فى الملكيات الصغيرة ، فان المثقفين الثوريين قد اعتبروا أن المشكلتين وجهان لعملة واحدة ، ونظروا الى جوهر المشكلة فى ضوء « احتكار لوسيلة من وسائل الانتاج » • ومن ثم فان تصورهم لحل مشكلة الأرض ارتبط بهذه الرؤية وجاء ليدعو الى استيلاء الحكومة على الملكيات الكبيرة وتوزيعها على فقراء الفلاحين والعمال الزراعيين مثلها مثل أراضى الحكومة وأراضى الوقف ، مع احتفاظ كبار الملاك بملكية لا تزيد عن ٥٠ فدانا فى تصور بعضهم و ٢٠٠ فدان فى تصور البعض الآخر (٧٥) •

---

(٧٤) انظر حول تفصيلات هذه الآراء ، المرجع السابق ، ص ص ٢٠٢ ـ ٢١٣ ولا شك أن هذه الرؤية ترتبط بالرؤية الاصلاحية التى طرحتها البرجوازية للمسألة الاجتماعية ككل والتى كانت تقوم على ركيزتين : (١) زاوية الفكر الدينى الاسلامى الذى يدعو للعدالة الاجتماعية والبر بالفقراء ، (٢) زاوية الاعتزاز بالفردية والحرية المطلقة للفرد وهى رؤية انبثق عنها الاعتقاد بأن الخلاص يكمن فى طاعة الله والتضامن واحترام الملكية الفردية وما صاحب ذلك من التنبيه الى خطر البلشفية • انظر عاصم الدسوقى ، **مرجع سابق** ، ص ٢٩٧ • ولقد تجلت هذه الرؤية فى الآراء المكتوبة والخطب وكذلك فى برامج الاحزاب •

(٧٥) المرجع السابق ، ص ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ • والملاحظ على رأى هذه المجموعة الثورية أنه لا يختلف كثيرا عن رأى الاصلاحيين من البرجوازية طالما أنهم وضعوا حدا أقصى للملكية الفردية يصل الى ٢٠٠ فدان عند =

ولكن الأهم من ذلك هو موقف كبار الملاك من مشروعات الاصلاح هذه ؟ المحقق أن المثقفين الثوريين لم يستطيعوا ايصال آرائهم الى دائرة اتخاذ القرار السياسي (الهيئة التشريعية أو الهيئة التنفيذية) التي لم يصل أي منهم اليها بشكل رسمي • لهذا فقد اكتفوا بنشره في كتب أو مقالات من خلال « دار الابحاث العلمية » • ولا شك أن ذلك كان على مرأى ومسمع من كبار الملاك • أما فريق الاصلاحيين من البرجوازية فقد استطاع أن يوصل مسألة الاصلاح الزراعي الى دائرة اتخاذ القرار • وحدث ذلك عندما حذر أحد النواب من خطر التركز الشديد في الملكية وآثار ذلك على امكانية تهديد وجود طبقة كبار الملاك انفسهم (٧٦) • وانتهى هذا الاهتمام بتقديم محمد خطاب لمشروعه للاصلاح الزراعي الى مجلس الشيوخ عام ١٩٤٤ ، والى المؤتمر الزراعي عام ١٩٤٩ (٧٧) •

غير أن المناقشة التي دارت حول مشروع الاصلاح الزراعي قد حولته الى لا مشروع أو لا مسألة ، بمعنى أنها انتهت بوأده • وأغلب الظن أن كبار الملاك قد حاولوا منع تقديم مثل هذه المسألة الى المناقشة ، أو ادخالها الى دائرة اتخاذ القرار • وحدث ذلك بوسائل عديدة منها أن الحزب الذي كان ينتمي اليه محمد خطاب وهو الحزب السعدي قد طلب منه صراحة ـ ومن خلال رئيسه النقراشي باشا ـ ألا يقدم المشروع الى المجلس ، الأمر الذي انتهى باستقالة محمد خطاب من الحزب السعدي (٧٨) • غير أن المعارضة الحقيقية لمشروع محمد خطاب ظهرت عندما قدمه الى مجلس الشيوخ • فقد عارضه كل

= بعضهم • وربما يكون مرجع هذا الى أن هذه الصفوة المثقفة كانت تتوقع أن يعارض كبار الملاك مقترحاتهم ، فعوضوا ذلك الحد الاقصى للملكية على سبيل المساومة •

(٧٦) انظر هامش ٧٣ السابق •

(٧٧) انظر عبد العظيم رمضان ، ١٩٧٨ ، مرجع سابق ، ص ٢١٤ ما بعدها • وعاصم الدسوقي ، ص ٣١٣ •

(٧٨) **المرجع السابق** ، ص ٢١٦ •

الأعضاء على اختلاف درجات معارضتهم (٧٩) • وانتهت المناقشة الى محاولة اخراجه من دائرة اتخاذ القرار عندما تم اقتراح مناقشة المشروع خارج مجلس الشيوخ فى ندوات علمية • وانتهى الأمر الى احالته الى لجنة الشئون الاجتماعية التى وأدت المشروع بعد أن ترك محمد خطاب مجلس الشيوخ (٨٠)• ولم يعارض المشروع فى مجلس الشيوخ فقط بل عارضته الحكومة والاحزاب ايضا • فقد عارضته وزارة النقراشى مبررة موقفها بأن الاهداف التى يبغى المشروع تحقيقها يمكن أن تتحقق بالطريق التدريجى وبوسائل أخرى كفرض ضرائب تصاعدية (٨١) • أما الاحزاب فقد عارضته جميعا بدءا من الحزب السعدى الذى كان ينتمى اليه محمد خطاب وانتهاء بالوفد (٨٢) •

وهكذا انتصر كبار الملاك فى موقف اتضح فيه بجلاء الصراع بين الصفوة القديمة والجديدة • وحتى اذا كان محمد خطاب قد انتمى الى الطبقة البرجوازية وقدم المشروع من خلال خوفه على مصالح طبقته ـ كما اتضح من المشروع نفسه ومن دفاعه عن نفسه عندما اتهم بانه صاحب أفكار اشتراكية ـ فان المناقشة داخل المجلس وداخل هيئات الاحزاب قد اتجهت الى نقد الافكار الاشتراكية • واتضح ذلك من وصف المشروع داخل المجلس بانه شيوعى ، ومن دفاع الوفد عن نفسه وعن جريدته بأنها لا تحمل افكارا اشتراكية بدليل أنها عارضت مشروع محمد خطاب (٨٣) •

وفى ظل هذه المعارضة فان مشروع الاصلاح الزراعى ظل فى دائرة الظلام حتى استولت طليعة الصفوة الجديدة من الضباط على السلطة • وهنا تهيأت

---

(٧٩) عاصم الدسوقى ، **مرجع سابق** ، ص ٣١٢ •
(٨٠) **المرجع السابق** ، ص ٣١٣ •
(٨١) **المرجع السابق** ، ص ٣١٢ •
(٨٢) انظر عبد العظيم رمضان ، ١٩٧٨ ، ص ص ٢١٦ ـ ٢١٨ •
(٨٣) انظر **المرجع السابق** ، ص ص ٢١٧ ـ ٢١٨ • وعاصم الدسوقى ، ص ٣١٢ •

الفرصة لتنفيذ ما حلمت به الصفوة الجديدة من المثقفين • فكان قانون الاصلاح الزراعى من أول القوانين التى صدرت عن هذه الصفوة • غير أن الصفوة القديمة لم تستسلم بسرعة ، وحاولت أن تمنع اتخاذ قرار بشأن مسألة الاصلاح الزراعى وحدث ذلك بطرق عديدة منها (٨٤) :

١ ـ القول بأن المشروع لا يتفق ودستور عام ١٩٢٣ •

٢ ـ أن عدد الذين سيستفيدون بالمشروع ضئيل بجانب الغالبية العظمى من المصريين •

٣ ـ أن ازالة الملكيات الكبيرة سيؤثر فى الدخل القومى •

ومع ذلك فقد صدر القانون باصرار القادة الجدد • غير أن كبار الملاك حاولوا اعاقة تنفيذه • فطفقوا يهتمون بمشكلات العمال ليصرفوا النظر عن المشكلة الزراعية ، وهيجوا الفلاحين ضد القانون ، وعطلوا ماكينات الرى ، وترققوا عن امداد الفلاحين بالأسمدة والبذور ، ولجأوا الى المحاكم يطلبون الغاء قرار الاستيلاء على الأرض (٨٥) • ومع ذلك فقد تم تنفيذ قانون الاصلاح الزراعى • وتقلصت الصفوة القديمة من كبار الملاك ، وان كانت فترة ما بعد ١٩٥٢ قد شهدت نمو صفوة برجوازية من نوع جديد على ما أوضحت فى مكان سابق من هذا البحث •

وأخيرا ، فلعل التحليل الذى قدمناه على طول هذا الفصل قد كشف لنا عن المحاولات الدائبة للصفوة الجديدة لاحداث تغير فى بناء القوة القائم • غير أن التحليل يؤكد ان هذه المحاولات قد باءت بالفشل أمام قوة وسيطرة

---

(٨٤) ابراهيم عامر ، **مرجع سابق** ، ص ١٤٦ •

(٨٥) **المرجع السابق** ، ص ص ١٤٧ ـ ١٤٨ •

الصفوة القديمة من البرجوازية • ففى وجود هذه السيطرة لم يكن من الممكن أن يؤدى التفاعل الى احداث تغيير تلقائى • وقد ادى ذلك الى عدم رغبة عامة فى النظام القائم ، ادت بدورها الى امكانية نجاح أى محاولة لكسر هذه السيطرة طالما انها ستلقى تاييدا من الجماهير • وهذا هو ما حدث بالضبط عام ١٩٥٢ .